Lark Journal of Philosophy, Linguistics, and Social Sciences

E-ISSN 2663-5836
P-ISSN 1999-5601
Original Research

Journal homepage: https://lark.uowasit.edu.iq
Vol. 18 No. 2 April January 2026, pp.142–160
https://doi.org/10.31185/lark. 5168

Representations of Self and Other in the Contemporary Palestinian Novel: A Postcolonial Reading through Selected Texts

Researcher Tabarak Hadi Hunaidi / University of Wasit / College of Arts
Assistant Professor Dr. Muhammad Reda Abdul Sattar Muhammad / College of Arts – University of Wasit

Received Nov *19*, 2025 | Revised Jan., 20*26* | Accepted Jan.10, 2026 | Online Apr .1, 2026

ABSTRACT

The colonial narrative reduced the colonized to a system of negative representations based on the idea of a binary that describes the colonizer (the Center) with all that is positive such as educated, advanced, active, capable, and creative, and the colonized (the Margin) with all that is negative such as ignorant, backward, lazy, helpless, and subordinate. Then, the counter-narrative to this system of representations was keen to deconstruct this binary, and reverse its poles in a counter-fashion by pushing its main characters to achieve advanced levels of knowledge and culture, along with delving deep into the study of history and specializing in archaeology, law, journalism, psychiatry, and literary writing, due to their direct relevance in responding to the references of the colonial narrative that supported the occupation of Palestine, And its awareness of its effectiveness in the counter-narrative , and resisting the colonizer's discourse , and dismantling his hegemony , alongside the counter-narrative of the contemporary Palestinian story undertaking the re-representation of the Other in opposition to his portrayal in his own narratives , so he appeared savage, barbaric , condemned for committing various heinous crimes of looting , murder , terrorization, sabotage, forgery, displacement, torture, and the violation of the constants of human values, and all norms, laws, and international covenants , so that it becomes confirmed to everyone after all this, the collapse of all the slogans he boasted about regarding his civilization, his progress, his humanity , and the falseness, and invalidity of his claims in that regard.

Keywords: Self, Other, Domination , Postcolonialism, Palestinian Novel, colonizer, colonized

تمثلات الذات والآخر في الرواية الفلسطينية المعاصرة قراءة ما بعد كولونيالية في ضوء نماذج مختارة

الباحثة تبارك هادي هنيدي/ جامعة واسط / كُلّيّة الآداب
أ. م. د. محمد رضا عبد الستار محمد/ كلية الآداب – جامعة واسط

الملخص عربي

إذا كان السرد الكولونيالي قد اختزل المستعمَر في منظومة من التمثيلات السلبية القائمة على فكرة الثنائية التي تصم المُستعمِر (المركز) بكل ما هو إيجابي من قبيل مُتعلِّم ، ومُتقدِّم ، ونشط ، وقادر ، ومُبدِع ، والمُستعمَر (الهامش) بكل ما هو سلبي من قبيل جاهِل ، ومُتخلِّف ، وكسول ، وعاجِز ، وتابع فأن السرد المضاد لمنظومة هذه التمثيلات حرص على تفكيك هذه الثنائية ، وقلب أقطابها على نحو مضاد ، بدفع شخصياتها الرئيسة إلى إحراز مستويات متقدمة من العلم ، والثقافة ، مع التعمق في دراسة التاريخ والتخصص في الآثار ؛ والقانون ، والصحافة ، والطب النفسي ، والكتابة الأدبية ؛ لعلاقاتها المباشرة في الرد على مرجعيات السردية الكولونيالية التي كانت سندا لاحتلال فلسطين ، ووعيها بفاعليتها في السرد المضاد ومقاومة خطاب المستعمِر ، وتفكيك هيمنته ، إلى جانب قيام السرد المضاد للرواية الفلسطينية المعاصرة بإعادة تمثيل الآخر على الضد مما كان عليه في سردياته ، فبدا متوحشا ، همجيا ، مدانا بارتكاب شتى الجرائم الفظيعة من نهب ، وقتل ، وترويع ، وتخريب ، وتزييف ، وتهجير ، وتعذيب ، وانتهاك ثوابت القيم الإنسانية ، وجميع الأعراف والقوانين ، والمواثيق الدولية ؛ ليتأكّدَ للجميع بعد هذا كله سقوط كل شعاراته التي كان يتبجح بها عن تمدنّه ، وتحضّره ، وإنسانيته، وزيف مزاعمه في ذلك ، وبطلانها .

الكلمات المفتاحية:

This work is licensed under a Creative Commons Attribution License (https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/) that allows others to share and adapt the material for any purpose (even commercially), in any medium with an acknowledgement of the work's authorship and initial publication in this journal.

أولا- تمثلات الذات :

1-الذات المستنيرة :

إذا كان السرد الكولونيالي قد اختزل المستعمَر في منظومة من التمثيلات السلبية القائمة على فكرة الثنائية التي تصم المُستعمِر بكل ما هو إيجابي من قبيل مُتعلِّم ، ومُتقدِّم ، ونشـــط ، وقادرٍ ، ومُبدِع ، والمُســـتعمَر بكل ما هو ســـلبي من قبيل جاهِل ، ومُتخلِّف ، وكسول ، وعاجِز ، وتابِع(ينظر: أبو شهاب ،2019 ،66) فأن السرد المضاد لمنظومة هذه التمثيلات حرص على تفكيك هذه الثنائية وقلب أقطابها ؛ ففي رواية (قناع بلون السماء) بدت الذات الفلسطينية علي وعي بمزاعم السردية الكولونيالية التي غضت من شأنها ، ووصمتها بالظلامية والتخلف ، وبكل ما هو سلبي لتبرير هيمنتها عليها طبقا لما نقله نور الشهدي عن لسان ممثلها " نحن نور لكم .. نور الأغيار .. جئنا إلى هذه الأرض لنصلح خرابها ...متخلف ..بدائي " (خندقجي، 2023 ،204) ولهذا قرر نور الشهدي التصدي للمستعمِر والرد عليه ، ومواجهته والعمل على فضح أكاذيبه ، متوعدا إياه بقوله " أنا من سيفضحك "(خندقجي ، 2023 ، 204) واختار ان تكون البداية بكسر حالة الصمت التي فرضتها عليه حالة والده ، لأن نور كان " يسعى نحو التحرر ، لا يريد الموت على مراحل كأبيه (خندقجي، 2023 ، 76) ولم يرض لنفسه تكرار مصير والده بعد خذلان رفاقه له ، واختياره الصمت ردا عليهم ؛ فقد عقد العزم على تخطي عقبات ذلك بالمضي في مسار التسلح بالمعارف والعلوم للرد على المستعمِر وتقويض مزاعمه، على الرغم من ولادته " مجهزا بكل عتاد البؤس المتاح وغير المتاح "(خندقجي، 2023 ،15) في أزقة المخيمات الفلســطينية " إذ كانت عادة نور قراءة معظم الكتب التي كان يوصــيه عليها مراد بما فيها الكتب والدراســات الخاصــة بالكيان الصــهيوني "(خندقجي، 2023 ،24) وسر عان ما تحولت غرفته إلى فضاء يضج بالجديد والقديم من الكتب في أعقاب وعيه العميق بالعلاقة الوثيقة بين الثقافة والإمبريالية ، وأن سلطة المعرفة وقوتها لا تقل عن قوة السلاح وفاعليته في الرد على المستعمِر بعد الاستحواذ عليها وعلى أدواتها ، فضلا عن عدد من الشــواهد التي أكدت براعته الكبيرة ومهارته العالية في أعمال الحفر والتنقيب عن الآثار ، وظلت تمنيه بالعثور على المزيد منها ؛ لحشدها مع غيرها في تقويض مزاعم المستعمِر وتفكيك رواياته التاريخية " ثمَّة رفوف خشبية تتراكم فوقها كتب جديدة وأخرى عتيقة، وبعض الملفات الورقية والدفاتر وضعت بصورة عشوائية فوضوية ، وفي زوايا الحجرة ثمة قطع فخارية وأسرجة زيتية آثاريه كان قد عثر عليها في دروب مشاركته في الحفريات الأثرية منذ أيام دراسته الجامعية، ونالها تذكارات إما سرا أو علانية كمكافأة على براعته في التنقيب الآثاري العلمي "(خندقجي، 2023 ،34) نتيجة حبه التخصــص في التاريخ والآثار ، وتأمين كل ما يعزز نجاحه في ميدانهما ، مصرا على تخطي كل العقبات التي تحول دون قطف ثمارها ، ولاسيما تحمله أعباء العمل في ميادين شاقة ؛ إذ " عمل نور بالبناء والدهان والعتالة والتنظيف والبســتنة وورش الحفريات الأثرية عمل لمدة عامين ليدخر ما يكفل له افتتاح مســيرته الجامعية " (خندقجي، 2023 ،39 ، ينظر:27) التي امتدت سبعة أعوام بسبب جمعه بين الدراسة والعمل لتأمين " أقساطه الجامعية الباهظة " (خندقجي، 2023 ،39 ، ينظر:27)(وذلك بعد أن اجتاز امتحانات الثانوية بتفوق ، وأثبت نجاحه مرة ثانية بكســر الحاجز الثاني في حياته ؛ ليحقق " ولادة أخرى كانت من أشدّ ولادات حياته عذابا وحسمًا، وذلك حين ولد من نجاحه في امتحانات الثانوية العامة بتقدير جيد جدا، ليلتحق بسوق العمل لا الجامعة " ((خندقجي، 2023 ،40) بعد أن عجز والده عن تأمين متطلبات التحاقه بالتعليم الجامعي ، فاضطر لتحمل مشقة العمل " لمدة سنيتن كي يوفر تكاليف أقساط دراسته الجامعية "(خندقجي، 2023 ،40) مصرا على بلوغ أهدافه مهما كلف الأمر ؛ إذ " كان عهده دوما عندما يتطلع إلى هدف معين ... يُصاب بشغف يصل إلى حد الهوس، فاشترى كتبا لتعليم اللغة العبرية، واستمع لنشرات الأخبار العبرية والأغاني والأفلام العبرية، أقبل عليها مجتهدا لا حبا بها هي اللغة الخائية كما وصفها لمراد ذات رسالة، وإنما لكي يحمي نفسه ممن يتفوهونها، كاسيا ملامحه بها " (خندقجي، 2023 ،40 -41) وهكذا تمكن من لغة المستعمِر واستحوذ عليها وبات مهيئا للرد بها عليه ؛ فصارت " العربية لغة قلبه ، والأنجليزية لغة عقله ، والعبرية لغة ظله وملامحه الاشكنازية "((خندقجي، 2023 ،41) ولم يجد تخصصا أقرب إلى تحقيق أحلامه ، وأفضل من التخصص في التاريخ والآثار ، مؤكد هذا مرة بعد

أخرى في رده على صـــديقه مراد الذي كان يتمنى عليه أن يتخصـــص في مجال آخر " لم أجد ما أفتن به ســـوى التاريخ والآثار "(خندقجي، 2023 ،19) لاقتناعه بأن " الكولونيالية تفاصيل صغيرة ، إنها هوس السيطرة والتفاصيل الصغيرة التي تشيّد بالنهاية بنية شـاملة متكاملة تفاصـيل معرفية وتاريخية وثقافية ونفسـية لهذا يجب أن نحاربها بالتفصـيل ذاتها " (خندقجي، 2023 ،25) وأن وعيه بهذه التفاصيل سيمكنه من " مواجهة الاغتصـاب التاريخي "(خندقجي، 2023 ، 25) وإعادة قراءة الروايات التاريخية التي اتخذ منها المستعمِر حججا في استلاب وطنه ؛ ولعلمه بأن " الآثار سياسة "(خندقجي، 2023 ،192) وأن الأحجار أرشيف الماضي المدفون ، وسجل الوقائع المغيبة لحقبة تاريخية معينة (خندقجي، 2023 ،229) وأن المستعمِر حرص على تغييب أسرار تلك الأحجار واللقى ، وطمس ما تبوح به من حقائق ؛ خوفا من تقويضـها لمزاعمه وادعاءاته ؛ ولذا لم يتردد نور باغتنام فرصـة المشـاركة في حملة التنقيب عن الآثار بعد أن عثر في هاتفه المحمول على إعلان لمعهد وليام أولبرايت عن افتتاح موسـم التنقيب الثاني ضـمن مشـروع يزراعيل الإقليمي جنوب تل مجدو ، ودعوة الباحثين المتخصـصـين بعلم الآثار للانضـمام إلى البعثة الآثارية في مسـتوطنة مشـمار هعيمق لمدة شـــهر فيحدث نفســـه " لن أفوت فرصـــة دعوة معهد أولبرايت ... آن لي أن أشـــتبك آن لي أن أســـترد ذاتي" (خندقجي، 2023 ، 78) لاقتناعه بأن مكان التنقيب هو " ميدان المعركة النهائية الفاصلة بين قوى الخير وقوى الشر " (خندقجي، 2023 ،194) وذلك حين قام في حملة تنقيب سـابقة " في موقع آثاري يقع غرب القدس، ... مسّـه شـغف الأرض حينذاك، عندما عثر في خباياها على قطع فخارية، وأختام، ومجسـمات وعملات، دفنت في التراب منذ آلاف السـنين مسـته الأرض ببوحها السـري، هي التي لا تثرثر بأسـرارها إلا للذين ينجحون بمداعبتها بأناملهم الخبيرة، دغدغة لطيفة مخبأة بالصـبر والهدوء والعناد لكي ترتعش بالنهاية صـارخة بأسـرارها"(خندقجي، 2023 ،20) التي سـتمده بما يمكنه من كتابة روايته عن مريم المجدلية ، فضـلا عن التسـلل تحت قناع هوية أور شـابيرا التي انتحلها ليكشـف جريمة الصـهاينة بإخفاء أطلال قرية اللجون المنكوبة بالأشـجار الباسـقة (خندقجي، 2023 ،199) معيدا بهذه السـيرة الحافلة بالنشـاط العالي ، والشـغف الكبير بمواصـلة التعلم ، والعزيمة الكبيرة على تخطي الصـعاب والتغلب عليها - معيدا انتاج ذاته على نحو مضاد لما انتجه المستعمِر له من صور كانت تضج بالكسل والخمول والعجز والجهل والتخلف والتبعية ، متوجا هذه السيرة ببذل ما في وســعه لمد صـــديقه مراد بما يحتاجه من كتب جديدة في زياراته له " باســتغلال عملية اســتبدال الكتب الجديدة بالقديمة، أثناء الزيارة الشـهرية"(خندقجي، 2023 ،22) ليكون في نهاية المطاف اسما على مسمى في إنارة درب صـديقه ، ودرب كل من يبحث عن تاريخ قضية وطنه المستلب .

ولم يختلف حال مراد عن صـديقه نور الشـهدي ، بل كاد يكون نسـخة أخرى منه في نضـاله من أجل التسـلح بالمعرفة للرد بها على المستعمِر ؛ لأنه كان " يحلم أيضًا بالالتحاق بالجامعة لكن ليدرس الحقوق، لعله يغدو محاميًا بارعا له نزاهته وحنكته ؛ لما يتمتع به من لسـان معسـول بالبلاغة، والجرأة المجبولة وبقدرته العالية على التهكم في أصـعب الظروف والمواقف "(خندقجي، 2023 ، 20) وذلك بعد أن صمم على كسر عزلته في السجن ، وتحويله إلى فضـاء مفتوح على إعادة تشكيل وعيه ومواجهة خصمه بسلاح الثقافة ؛ فقد " واجـه مراد حديد المعتقل بـإرادتـه الفولاذيـة، وهزم غربتـه المريرة بـالأمل المتـدفق من حبر قلمـه؛ ليبـارز الحرمـان والانتزاع الحـاد والممنهج للإنسـانية من زمنها ومكانها " (خندقجي، 2023 ، 23) متخذا من مقولة محمود درويش " السـجن كثافة " منهاجا لحياته في الســـجن فقلب بها " آلامه الاعتقالية، ليُحيلها إلى درب معرفة ، وثقافة تؤدي به إلى الحرية ، حريته الداخلية على الأقل "(خندقجي، 2023 ،23) محققا هذا من خلال " التحاقه ببرنامج البكالوريوس الخاص بالأســرى في ســجون الاحتلال الصــهيوني، ليتخرج حاملا شهادة في العلوم السياسية، ألحقها بعد عدة سنوات بشهادة الماجستير في الدراسات الإسرائيلية من كلية الدراسات العليا التابعة لجامعة القدس " (خندقجي، 2023 ،23) ثم ذهب إلى أبعد من هذا بالعمل على " إعداد دراسـة بحثية حول البنية الكولونيالية للنظام الصـهيوني "(خندقجي، 2023 ،23) مســـتغلا زيارة صـــديقه نور له في تهريب بعض الكتب المهمة واللازمة لانجاز مشـــروعه ، ومطالبته بمســـاعدته في الحصـــول عليها في إحدى رســـائله " عزيزي نور ...أنا منشـــغل حتى الثمالة بالدراســـة التي أعدها عن الكولونيالية الصـهيونية.. بالمناسبة، أريد أن أوصيك على كتابين آخرين هما : الثقافة والإمبريالية لإدوارد سعيد، ودراسات ما بعد الكولونيالية لبيل

أشكروفت ... ويجب أن نقوم بالتصدي لهذا الوحش الكولونيالي من خلال التأسيس المرجعية معرفية خاصة بنا " (خندقجي، 2023 ،47-48) ليؤكد بهذا ما أكده من قبل صديقه نور وعيه العميق بفاعلية المعرفة وإلمامه بمراجعها المهمة في الرد على المستعمِر ؛ بوصف هذين الكتابين من أهم كتاب دراسات ما بعد الكولونيالية .

وفي رواية (بدلة إنكليزية وبقرة يهودية) بدت الشخصية الرئيسة الممثلة بصبحي الميكانيكي خلافا لما درج السرد الكولونيالي على تمثيلها ؛ إذ بدا مثالا للمهارة العالية التي ظلت تعيد الحياة للمولدات الكهربائية ومضخات المياه ؛ إذ " حقق صبحي حلمه أو الأصح هوسه ، فمنذ صغره كان مولعا بفكفكة أي شيء يقع تحت نظره أو بين يديه وتركيبه سواء كان راديو زينيث أو أدوات جده الزراعية او حتى حنطوره أو دراجات أخوته ..." (العامري ، 2022 ، 14) ومضخات مياه بيارات البرتقال في مدينة يافا ، وبشهادة أصحاب البيارات كلها ، وكان آخرهم الخواجا ميخائيل الذي قال له بعد أن غامر بالنزول إلى قاع البير ، وأصلح له مضخة بيارته وسط ترقب مشوب بالقلق "<<بالفعل يا صبحي، إنت بتستاهل شهرتك، اليوم أثبتت إنك أشطر ميكانيكي في يافا>>"(العامري ، 2022 ، 38) فشخصية صبحي الميكانيكي عززت السرد المضاد للرواية الفلسطينية المعاصرة بمثال آخر تضامن مع غيره من الأمثلة في كسر الصورة النمطية التي انتجها له السرد الكولونيالي حين جعل الآخر مثالا للعجز والكسل والجهل والخوف والتردد ، وذلك حين بدا صبحي الميكانيكي باعتراف جماعي عاملا ماهر وكفءً في ميدان عمله ، وفضلا عن هذا فأن إيثاره لهذه المهنة على النزول إلى البحر لم يكن بعيدا عن تمثيل مدى تعلقه بأرضه ، وحبه لها والإسهام في تقويض مزاعم الرواية الكولونيالية التي استلبت وطنه تحت شعار " أرض بلا شعب لشعب بلا أرض " فلولا مهارة صبحي الميكانيكي وقدرته على إصلاح الكثير من المضخات لماتت بيارات البرتقال في يافا ، وتحولت مدينة البرتقال إلى صحراء قاحلة تؤيد بقحالتها مزاعم الحركة الصهيونية التي ادعت أن أرض فلسطين كانت بلا شعب ، لشعب بلا أرض، ولكن صبحي الميكانيكي انضم إلى من أسهم بتفكيك هذا الزعم ، وظل يدافع عن حبه لمهنته " أنا بحب شغلي ولو اضطريت رح اشتغله ببلاش "(العامري ، 2022 ، 12) مدركا أهمية مهنته في إدامة حياة شعبه وأرضه ، ولاسيما بيارات برتقال يافا ، مؤكد هذا فيما بعد بالتماس العذر لوالده في إيثار العمل في بيارات البرتقال بدلا من العمل بالصيد كما كان والده يتمنى ذلك ، إذ " فهم صبحي الآن فقط لماذا يفضل أبوه أن يكون بيارا يعمل في مثل هذا النعيم بدل أن يعمل صياد سمك وسط بحر هائج كان ، والده محقا عندما اختار عبير أزهار البرتقال على رائحة البحر اللاذعة "(العامري ، 2022 ،30) وكأن صبحي أراد من توظيف براعته العالية في صيانة مضخات مياه البيارات استكمال حلقات نجاح زراعة الأرض، والتضامن مع الجهود التي تفكك مزاعم المستعمِر وتقوضها .

وفي رواية (أعراس أمنة) بدت المرأة الفلسطينية هي الأخرى على الضد ما أشاعه المخيال الكولونيالي في حقها ، وبما وصمها من عجز وقصور وما إلى ذلك من أوصاف سلبية ؛ إذ كانت شخصية آمنة نموذجا للمرأة الفلسطينية التي أسهمت في مواجهة المستعمِر من خلال التسلح بالعلم للعمل في مركز إعادة تأهيل المصابين " غالبًا ما كنا ننتظرها عند بوابة البيت، في وقت عودتها من عملها من مركز تأهيل المصابين الذي قادتها شهادتها الجامعية في علم النفس اليه كمشرفة " (نصرالله ، 2012، 33) فشخصية آمنة كانت بحسب هذا النص أنموذجا للمرأة الفلسطينية المتعلمة، التي دمجت بين التحصيل العلمي والفاعلية المجتمعية عن طريق شهادتها الجامعية في "علم النفس" أي أن شهادتها لم تكن مجرد إنجاز أكاديمي، بل هي وسيلة للوصول إلى دور مهني إنساني و فعال يربط التعليم مباشرة بوظيفة اجتماعية ، مؤكدة هذا بقولها لابنة جيرانها " تقول لي آمنة. يجب أن يحس هؤلاء الناس أنهم ليسوا وحيدين بعد أن فقدوا أبناءهم وآباءهم. ليس هناك أصعب من فقدان الابن أو البنت أو الأخ أو الزوج الذي تحبين، أو أي عزيز عليك (نصرالله، 2012 ، 34) من خلال العمل في مركز تأهيل المصابين جراء الاحتلال، ومعالجة ما يعرف باضطرابات ما بعد الصدمة من قلق وخوف واكتئاب ؛ لتثبت أن اختيار "علم النفس" لم يكن عشوائيًا ، فقد " كان عليها الذهاب كثيرًا إلى المستشفيات للالتقاء بالأطفال المصابين وإقناع بعض الأهل الذين لم يكونوا، غالبا، يقبلون وضع أبنائهم تحت رعاية خاصة. - يقتلك أن هذا العدد الهائل من الأطفال لن يروا الشمس. الرصاصات التي كانت تطال عيون الأطفال بالذات، كانت تعذبها أكثر. وكانت الإصابات تزداد، وفي لحظات تتحدث كما لو

أنها في مكان آخر، تقول: حين أسير في الشارع أظل أتلفت أمامي، حولي، باحثة عنها: عيونهم. أقول لعل واحدة سقطت هنا، ويفزعني تناثر الألوان على بعض الجدران فأقول لعلها عيونهم بالأمس جاءوا بعيون زجاجية، عيون خضراء وزرقاء" (نصرالله ، 2012 ، 51)انسجاما مع الحاجة المجتمعية تحت الاحتلال، حيث تنتشر الاضطرابات النفسية نتيجة العنف، ما يجعل المتعلم هنا طبيبًا للروح الفلسطينية وهذا يظهر "المتعلم" كفاعل في جبهة غير مرئية من المقاومة وهي جبهة العناية النفسية والكرامة الإنسانية. " وغالبا ما كنا ننتظرها عند بوابة البيت "هذه صورة معبرة تبرز تقدير الأسرة أو المجتمع لدور المتعلمة ؛ لأن الانتظار اليومي هو طقس ترحيب وتقدير، يعكس الاحترام والمكانة التي حازتها عبر علمها وخدمتها وتندمج الوظيفة الإنسانية بالمكانة العاطفية، لتكون المتعلمة مركزًا للعطاء والانتماء معًا ، فضلا عن كسر الصورة النمطية للمرأة الفلسطينية من خلال إعادة تمثيلها متعلمة، عاملة، وذات تأثير مجتمعي بالضد من السرديات الكولونيالية التي اختزلت المرأة إلى ضحية أو تابع في تمثيلاتها ، فالنص يمثل تجسيد عميق للمتعلم وخاصة المرأة المتعلمة بوصفها فاعلة ومعالجة لجراح المجتمع ومصدر للتقدير الإنساني. والتعليم يقدم كوسيلة تحرر وعطاء في مواجهة الاحتلال لا بالسلاح بل بالرعاية النفسية والتضامن.

كما بدت شخصية رندة هي الأخرى خلافا لما كانت عليه في السرديات الكولونيالية ، إذ كانت صحافية مناضلة اتخذت من الروائي الفلسطيني غسان كنفاني مثالا لها في الرد بالكتابة بعد أن تأثرت بروايته (أم سعد) التي صدرت عن دار العودة في بيروت عام 1969، ودارت أحداثها حول امرأة فلسطينية حقيقية مثلت حال المرأة الفلسطينية المكافحة التي تبث الأمل والصمود ، وتبدد اليأس بنضالها وثباتها في وجه التحديات ، وتقدم أبناءها فداء للوطن ولحرية الشعب الذي عانى من بطش الاحتلال (ينظر: سعد ،انترنت) فقد اختارت شخصية رندة الإسهام في السرد المضاد من خلال مهنة الصحافة ، ومن خلال استثمار قدراتها الذاتية التي وظفتها في تفكيك مزاعم المستعمِر ومواجهته بالكتابة ، وظلت طوال الوقت تتساءل عن الأسباب التي تحول دون قيام الكتاب بهذا الدور النضالي بعد أن شهد الجميع لها بنباهتها التي جعلت جارتها آمنة تتمناها زوجة لابنها صالح واصفة إياها بقولها " ذكية هذه البنت" (نصرالله، 2012 ، 85) و ذكاؤها جعل أمها تتباهى بها وتفخر بعقلها إلى الحد الذي جعلها تقول لأبنائها " انظروا صاحبة الرأس الصغير، وأختها، في الواحدة منهما عقل أكثر مما في رؤوسكم مجتمعين. لو أن الله لم يرزقني سوى البنات، لكنتُ أسعد أهل غزة (نصر الله ،2012 ،62) الأمر الذي حمل رندة على الاعتداد بنفسها أمام جدتها وقولها لها " صحيح أن رأسي صغير ولكني أفهم كل شيء "(نصر الله ،2012 ،122) فتتفق جدتها معها وتؤكد أنها " مخ صافي "(نصر الله ،2012 ،122) وأنها " قوية ، ويمكن القول عظيمة "(نصر الله ،2012 ،62) ثم شرعت تثبت هذا بجمع الحكايات " كحالمة بالكتابة، أو جامعة حكايات فلسطينية." (نصر الله ،2012 ،73) لاقتناعها بأن الأمم سرود وحكايات كما رأى إدوارد سعيد ، وأن من لا سرد له لا جود له فكانت بحسب رأي جارتها آمنة " تجمع صور الشهداء الأطفال، وذات يوم أتت وبكت، لأن الصور أصبحت كثيرة، ثم رأيت حزنًا لم أره من قبل على وجه بشر. سألتها: شو في يا رندة. فقالت: رغم هذا العدد الكبير من الصور إلا أن هناك شهداء لم يسبق لهم أن تصوروا الصورة الوحيدة التي لهم هي التي التقطت بعد الموت. وبكت لأن بعض الصور كانت لا تشبههم، لأن وجوههم كانت مشوهة بسبب الرصاص والشظايا، بسبب الموت. سألتني: كيف أضع صورة كهذه لهم بين الصور وقد كانوا أجمل ؟! يومها قلت لها : اكتبي عنهم، اكتبي بعض ما قالوه، ما حلموا به. فلم تعد تترك أمها تذهب إلى أي بيت عزاء، دون أن تكون معها. وفي وقت كانت فيه النساء يبكين ويتحدثن كانت تبحث بين كلامهن عن آخر ما قاله الشهداء الصغار، عن آخر ما فعلوه" (نصر الله ،2012 ،125)كانت كلما فعلت ذلك يجتاحها الشعور بالحزن على فقدانهم ؛ فتبكي حتى تحمر عيناها وتتمنى أن " ينتهي ها الاحتلال قبل ما يخلص ها الدفتر. كنت أنظر إلى دفترها، وأقول من أين اشترته كان أشبه بعشرة دفاتر مثبتة الواحد منها بالآخر. وقالت لي: أبكي أحيانا لسبب قد لا يخطر ببال أحد، حتى ببالك يا خالتي آمنة، أبكي لأن خطي أصبح يصغر يوما بعد يوم. وكلما نظرت إلى ما تبقى من صفحات بيضاء، وخرجت ورأيت الجنود في الشوارع، أعود وأبكي. ((نصر الله ،2012 ،126) ثم قررت أن تبحث عن قبر غسان كنفاني ليعينها في هذه المواجهة وأن تسلل إلى قبره لـ " تحدث

فتحة في القبر وتعطيه كل ما جمعته من حكايات، وتقول له: في هذه الأوراق من الحياة - رغم كل الموت الموجود فيها - ما يكفي لأن يجعلك تنفض الموت عنك، وتعود للكتابة من جديد "(نصـــر الله ،2012 ،67) فالعمل الوحيد المقاوم لفعل الموت والعدم هو الكتابة ، معترفة له بأنها جمعت " الحكايات، واحدة بعد أخرى، حكايات صغيرة، بعضها أسمعه، وبعضها أعيشه، وبعضها أقصه من صفحات الجرائد وأظل أتســاءل: ما الذي يفعله كتابنا اليوم. لماذا لا يكتبون عن ذلك كله؟ "(نصــر الله ،2012 ،62) كما فعل غســان من قبل ، واختارت هي الآن أن تمضـــي في الطريق ذاته لمواجهة المســتعمِر بالكتابة " قررت أن أكتب ما أراه، وقد ألقي به ذات يوم بين يدي كاتب، أو أفتش عن قبر غســان كنفاني وأقول له قم واكتب هذه الحكايات"(نصــر الله ،2012 ،63) حين رأت الموت يحلق في طائرة الأباتشي أو طائرة أف 16 ، فعادت إلى بيتها مسرعة وحملت " مجلدات غسان أرفعها إلى السماء وأصرخ : تستطيع أن تفعل كل شيء ولكنك لن تســتطيع قتل هذا، لقد سَـبقْكَ وفزنا بهذا كله، هل نسـيت؟ "(نصــر الله ،2012 ،69) مادام الرد على المســتعمِر بالكتابة اســترتيجية ثابتة ، يجب اللجوء إليها من دون جعلها خيارا أوحدا للمقاومة " كنت أريد أن أقول لها إنني صــحافية مع وقف التنفيذ، لأن أحلامي لم تتحقق، لأنها ربما أكبر بكثير من رأسي الصغير." (نصر الله ،2012 ،50) مجسدة الصراع بين التعليم والطموح الشخصي أو الفجوة بين الطموح الأكاديمي والواقع الاجتماعي والسـياسـي الذي يعيق تحقيق تلك الطموحات ؛ في سـياق كولونيالي قامع لم يترك لها سوى الاستمرار بالنضال .

وفي رواية (حكاية جدار) التي سـردت سـيرة الروائي نفسـه (ناصـر أبو سـرور) ومثلت معاناة الأسـير الفلسـطيني في سـجون المستعمِر ، بدت الذات في أجلى صـور النضـال والمقاومة بالكتابة ، من خلال قلب أقطاب المكان ، وتحويله من مكان مغلق إلى سـاحة نضـــال ومواجهة، اعتمدت اســتراتيجية الرد بالكتابة ، واختارت تفكيك الثنائية الكولونيالية (مبدع / مقلد) أو (متبوع / تابع) التي جعلت المســتعمِر في قطب الإبداع ، والمســتعمَر في قطب المقلد ، وذلك من خلال العمل على كتابة سـيرته ، وسـيرة كل السـجناء الفلسـطينيين وما كانوا يتجرعونه من أسـاليب تعذيب وحشـية ، فضـلا عن تمثيل تحدي الذات لتلك الظروف العصـيبة ، وكسـر أسـوار زنزانات المستعمِر بالقراءة والمعرفة ؛ بوصفها سلطة واستراتيجية فاعلة في الرد على المستعمِر " سأكمل الحكاية من أجل فارس ، وكل الذين سبقوه من فرسـان ...في الكتابة علاج وفسـحات " (أبو سـرو،2022 ،73) لأنها " كتابة السـجن بكل ما فيها من اضـطراب وتوعك وتخبّط ، ولم تولد هذه الكتابة خلال حديث مسـائي في أحد مقاهي المثقفين حول مائدة تعج بالمشـاريب والأخبار ، بل ولدت من رحم جدار إسمنتي حتى أنها تكاد تخدش أنها كتابة مُطعّمة بالحديد والصلب والإسمنت "(ينظر: (أبو سرو،2022 ،7-8) ولأنها نتاج تحد إرادة صلبة تسلحت بسلطة المعرفة ، ولاسيما قراءة كتب الفلسفة بين جدران الزنزانة لكيركغورد ، وجاك دريدا والأدب السوفيتي(ينظر: أبو سرو،2022 ، 11، 29) وناظم حكمت ، وأمل دنقل ، وجيفارا " تكلمنا بكل لغات الوجع "(أبو سرو،**41**،2022) حتى " كَبُرَت الأسئلة وكذلك خشيتي على زنزانتي تخمة السؤال ولكنني لم أتوقف وعدت إلى شتاء 1993 في زنزانة رقم 24 في قسم التحقيق في سجن الخليل ...أنزع الحرية من ضيق السؤال إلى فسحة الخيال ...وكأي فلسطيني وعى عبوديته ، وتقلصت خياراته فكان عليه أن يفقد حريته من أجل أن يتحرر ، وأن يموت في سبيل أن يحيا " (أبو سـرو،2022، 13-14) لإيمانه بقضـيته ، وما توجبه وتسـتدعيه من تضـحيات قد تبدأ بالتضـحية بالحرية من خلال اللمبالاة بالسـجن ، وقد تنتهي بالتضـحية بالنفس لإدامة الحياة ، واسـتعادة الأمل وصناعة المستقبل ، ولا تتنازل عن الرد بالكتابة لو قدر لها أن تكون خلف قضبان السجن المؤبد " هنا سأتعلم الكتابة بأحرف صغيرة ضـيقة ...والاسـتعداد للإجابة على أي سـؤال مفاجئ ...وتشـخيص الأمراض وطرح حلول وعلاجات ...سـأتعلم في سـنتي تلك أيضـا محدودية صـوابي واحتمال خطئي ، وتطويع تمردي ولو قليلا ...وقراءة الأدب الروسـي والسـوفييتي "(أبو سـرو،79،2022) محققا بهذا كله انتصـاراته على المستعمِر ولكن من نوع آخر ، ومقوضـا كل ادعاءاته التي زعمت أن المسـتعمَر عاجز وتابع ومقلد وجاهل ، وليس له إلا الرضوخ والخضوع لسيده المستعمِر .

وإزاء هذه المعطيات التي سـمعت بها المحامية الفلســطينية (ننّا) بعد أن عادت إلى أرضـــها المحتلة بعد عام 1948 ومعرفة حكاية السـجن ناصـر أبو سـرور لم تجد ما يحول دون التضـامن معه لاعتقادها أن " الاحتلال لا دين له "(أبو سـرو،2022 ،310)

وقررت أن تقف معه في محنته التي طالت ثمانية وعشرين سنة خلف القضبان ، وأن تحبه بعد أن زارته في يوم ما ، وتعرفت إليه وظلت تزوره ، وتستعين بمراسلته حين يتأخر عنها موعد مقابلته " لا يحق لك أن تكوني هنا . أنا محامية . وإن كنتِ كذلك . أريد فقط الاطمئنان عليه ...ممنوع . ألا تفهمين ! "(أبو سرو،2022 ، 312-313) وقد سبق لها أن أثبت كفاءتها في نيل شهادة الدفاع عن الحقوق المسلوبة " أرادت ننّا شيئا مختلفا عن الذي وفرته بديهية الحياة وشخوصها ...بقيت على درسها حتى انتهى شهادة في إعادة الحقوق لمن ضاعت حقوقهم ، شهادة صدقتها جامعة شُيّدت على أرض شيخٍ عجوزٍ استأنس بأرضه حتى جاء من يسرقها ويبني عليها دولته التوراتية...،غادرت المدينة الكبيرة وعادت إلى ساحات بلدتها الضيقة لتبدأ من هنا أولى حروبها القانونية أمام قضاءٍ جعل من محاكمه وسيلة لشرعنة جرائمه. حاربت كثيرًا وفرحت بانتصاراتها الصغيرة، زادت مواجهتها قضاء دولة الاحتلال من وعيها بالظلم وجعلت من سؤال الهوية عند ننّا سؤالًا ملحًا"(أبو سرو،2022 ، 196) فتحالفت بخبرتها القانونية مع نضال السجين بثقافته وخبرته في الرد بالكتابة ، وبات كل منهما يناضل من موقعه ، ويعمل على تفيكك مزاعم المستعمِر وإدعاءاته التي كان يبرر بها جرائمه وانتهاكاته .

2-تمثلات الذات الإنسانية :

ويراد بها كل ما يتميز به الإنسان من الصفات والمميزات الخيرة كالرحمة، والتعاطف، والعدل، والحرية طبقا لوجهات النظر الفلسفية والأخلاقية التي ترتبط بالإنسان فردًا كان أم جماعة ؛ فالإنسانية هي التي تميز الإنسان عن غيره من الكائنات(لا لاند، 2001، 570-571) وحين نستعرض مفهوم "الإنسانية" في سياقه الأدبي والفلسفي، فإننا لا نقف عند حدود المصطلح في تعريفه القاموسي، بل نتلمّس ارتداداته المعرفية التي تموضع "الإنسان" في مركز التأويل، لا كمجرد كائن بيولوجي، بل كحامل للمعنى، وفاعل في سردية الوجود. فالإنسانية ليست نتاجًا للحظة تاريخية بعينها، بل هي تشكل انبثاقًا لوعي يعيد مساءلة المطلق، "هي الاستجابة لكل العواطف الإنسانية لدى شخص ما؛ أو فلسفة يكون مركزها الإنسان ومبررها "(البازعي ، 2002 ، 49) وأن الإنسانية نسق فكري يعمل على جعل المصالح والقيم والكرامة الإنسانية هي العامل المهيمن خلافا للرأي الذي ساد من قبل وعدّ الإنسان كائنا شريرا كُتِب عليها الهلاك في هذه الحياة والحياة الأخرى(فتحي ، 1986 ، 369) فالأدب الإنساني لا يكتب الإنسان بوصفه حضورًا، بل بوصفه إمكانًا، واحتمالًا مفتوحًا على سؤال الوجود ، لتصبح الإنسانية نزعة أخلاقية وموقفا أنطولوجيا يؤكد على " التعبير عن إنسانية الإنسان . ويساهم في فضح الانتهاكات والتجاوزات على القيم الإنسانية وبالتالي فإنه يصنف إلى جانب قوى الخير . لأن الإنسانية ...، تعني مكافحة الظلم والجهل والفقر . فالأدب الإنساني يعم البشرية كلها من دون تمييز بين عرق أو لون فهو يرتبط بالإنسان بوصفه إنسانًا بمعزل عن أي انتماء. وهو يحمل في طياته أبعاده الجمالية التي نظر إليها من منظور مثالي شامل للإنسانية وهو الخير والحق والجمال" (الندوي ، 2023 ،) . وإلى جانب ما تقدم تحرص الذات الإنسانية على الالتزام بـــ " مجموعة القواعد وآداب السلوك التي تنظم العلاقات بين الأفراد في مجتمع متمدن...، وهي خصال أخلاقية...، تجعله يتجاوز عتبة التوحش والهمجية إلى مراقي التحضر والمدنية...،كما يعد المجتمع المتحضر يعتمد في نزوعه إلى الحضارة على منظومة تربوية ومؤسسات مدنية وقواعد معيارية، تميزه عن المجتمعات " المتوحشة " وعن عوائدها "البدائية " فهي تقوم على تشذيب الدوافع، وارتياض الغرائز، وإسلاس الطباع وتليينها، وتهذيب السلوك وتلطيفه " (سبيلا ، 2017 ،113-114) . وهو ما يعنيه أن الإنسانية تعني وجود نظام اجتماعي أخلاقي يحكم العلاقات بين الناس وقواعد وآداب تساعدهم على العيش بسلام التخلص من الحالة الهمجية أو البربرية (ينظر عبود ، الأوسي ، 2021) .

وفي رواية (يافا تعد قهوة الصباح) تجلت الإنسانية في موقف فؤاد الذي ضاق ذرعا بالتعامل الطبقي الذي كان نافذا في أعراف عائلته مؤكدا هذا بقوله " أهرب من عالم نشأت فيه إلى آخر بنيته بنفسي لنفسي ، من انتمائي الاجتماعي القسري إلى إنسانيتي القلقة الملتبسة من عالم الوصايا إلى عالم المشاعر(حامد ، 2013، 273) ولاسيما بعد أن تخرج من الثانوية بتفوق ، والتحق بالجامعة الأمريكية في بيروت لدراسة الطب ، وأدرك الفجوة الكبيرة بين ما نشأ عليه ، وبين ما كان يتطلع إليه ؛ لأن والده سليم بيك صاحب

البيارة الكبيرة " يعيش في يافا ، إلا أنه يفرض نمط حياة الشعراوية على العائلة: نساء العائلة حبيسات المنزل يقمن في يافا ، ولكنهن لا يرين من حياة المدينة شيئا" (حامد ، 2013، 169) وأن استياءه من قسوة تلك الحياة التي كان والده يفرضها على عائلته بلغ أقصى درجاته بعد أن أغرم بابنة ناطور بيارتهم ، ليجد نفسه بين مطرقة مشاعره الإنسانية الرافضة للتمييز الطبقي ، وبين أعراف عائلته التي تمنعه من الاقتران بابنة الناطور " أنا ابن أبو سليم بجلالة قدره ، تخطف قلبي بنت ناطور بيارتنا ؟! وليت الأمر يتوقف عند هذا الحد ، فعرف العائلة بل عرف الطبقة لا يحظر العلاقات مع نساء الفلاحين ولكن قانونا يحكم تلك العلاقات قانون التعسف والتجبر الذي يمنح أيا من أفراد العائلة الذكور حق انتزاع أي فلاحة تروقه حتى من سرير زوجها ولا يملك أحد أن يعترض على ذلك إذا لمح الوالد أو سليم مثلا، فتاة أو امرأة راقتهما أن يوعزا لفزاع، وستكون في سرير أحدهما خلال أقل من ساعة مقهورة مسلوبة الجسد والإرادة، تلبي رغباتهما الحيوانية، ثم تحمل، مع كل الجراح التي أوقعوها بها، إلى منزل والدها أو زوجها، مع هدية سخية، ثمنا للذة التي منحتها، رغما عنها، للسيد. لا العائلة ولا الطبقة تستهجن أن تروقك فلاحة، لكن الطريق إلى تلبية الرغبة بسيط ومختصر، فما بالي أعقد الأمور بهذا الشكل؟ لا سليم ولا الوالد يفهمان أن أكتئب وأغلق علي باب غرفتي" ، (حامد ، 2013 ، 297 -298) ثم زاد الأمر تعقيدا وعي حبيبته (بهية) بهذه المشكلة الاجتماعية ، ومعاناتها من تبعاتها ، وأن حبها للأمير لن يغير من أعراف هذا الواقع المرير ، ولن يسمح لها بالاقتران به ، كما أنها لن ترضى بالزواج رغما عنها من ابن عمها " لن أتزوج زهدي ابن عمي مع أني أعرف أن ذك الأمير لن يخطفني على حصانه الأسود ، أنا مجرد خادمة لذلك الحصان ، أنظفه وأعدّه لنزهات الأمير ، لكني لا أمتطي ظهره ، دونه تارخ من الذل الذي تحترفه عائلتنا للحصول على لقمة عيشها ، كيف لي أن أقبل الأمير ووالدي معتاد على تقبيل يده ؟ كيف لي أن أصبح أميرة القصر وأهلي هم عبيده ؟ كفى أوهاما وعودي إلى رشدك أيتها الغبية "(حامد ، 2013 ،289-290) لاقتناعها باستحالة بلوغ ما كانت تحلم به ، في ظل التمييز الطبقي ؛ لتتفاجأ في يوم ما بقيام سليم وفزاع شقيقي فؤاد بجلبها قسرا ، إليه ومن دون أدنى إنسانية ، أو رحمة أو كرامة أو احترام لحقوقها بوصفها إنسانا ، ظنا منهما أن فعلتهما هذه ستمكن شقيقهما فؤاد من مغادرة عزلته وكآبته ، وليس إنكاره الشديد لها ، وترجمته بالتصادم العنيف معهما ؛ مؤكدا بهذا أقصى درجات الإنسانية في رفض الاعتداء على امرأة تحت مظلة الاستغلال والتمييز الطبقي " صوت سليم الذي لم يتوقف عن الصراخ خطفني من أوهامي لأكتشف أن الكابوس ليس إلا واقعيًّا، والنهنهة تتحول إلى نحيب ثم إلى صراخ جريح ، وأنا اقفز من فراشي كالمجنون أتعثر بكل ما في طريقي، أفتح الباب، بل أنتزع ضلفته وأنطلق صارخا وقد بدأت أعي ما يجري اتركها يا كلللللب !!!! يا كلللللب !!!! يا كلب !!!!! أفيق من الكابوس على الكابوس .. هي، بهية، بكبريائها الجريح، هناك أسيرة جبروت القوانين الجائرة، والعضلات المفتولة للقواد المسمى فزاع، وسليم بابتسامته الصفراء يقف منتصرا على جراحي: إهدأ ، شو مالك ؟ بدك إياها ؟ جبتها لعندك، خذها ، هي إلك طوال الليلة، إعمل فيها اللي بدك إياه، بنت بكر الله وكيلك ! تمزمز عليها طول الليلة هع" (حامد ، 2013 ،301) فاندفع فؤاد بقوة ؛ لينقذ بهية من ظلم شقيقيه وتعسفهما ، ومعاملتهما اللإنسانية لها " هجمت على فزاع بكل قوتي: اتركها !!! إتركوها يا كلاااااب !!! وبدأت أنتحب بهستيريا جعلت كل من في البيت يتجمعون أمام غرفتي هرعت أمي باكية وكذلك أخواتي - الله ينتقم منكم، الله ينتقم منكم ! جاءت دعوات أمي المكلومة وسط دموعها . ايوا ايوا ، ابنك الخرع هذا كان ناقصك ! صرخ سليم، لكن الوالدة استمرت في الصراخ الله يغضب عليك، رجعوها لأهلها ، خافوا من الله ! فزاع لم يقاوم ضرباتي، بل لم يكترث لها ، أما سليم فقد زأر : خلص بلا ولدنة ! إذا ما بدك اياها بأخذها أنا ، أنا أولى" (حامد ، 2013 ،302) فاستفزه هذا الرد ولم يتمالك نفسه ، بعد أن تعالى صراخ بهية ، وكاد فؤاد ينهي هذا الخلاف ، ويضع حدا لهذه المعاملة اللإنسانية بقتل شقيقيه ، لولا تدخل والده في لحظة تحول وانقلاب حاد ، بدا فيها سليم بك أكثر إنسانية من ولديه سليم وفزاع بعد أن " جلجل صراخ بهية ليغرس في قلبي سكاكين، وانفلتُ من يد فزاع الذي كان يحاول السيطرة عليّ، وانطلقتُ إلى المطبخ، أحضرت أول سكين وقع في يدي وعدت إلى حيث المشهد الكابوسي، لأجد والدي الذي وصل الصراخ إلى مسامعه وقد انضم إلى الجمهرة أمام غرفتي، صرخ في فزاع طالبا منه إعادة بهية إلى أهلها . حين رأني راكضا والسكين في يدي والجنون يطل من نظراتي أصابه الهلع، وصرخ بصوت مخيف ولك يا مجنون شو بدك تعمل ؟ يا غضيب الوالدين هات السكين هات. وانتزعها من يدي بعنف ثم وجه صفعة

مدوية إلى فزاع الذي كان ما يزال يمسك بذراع بهية بقسوة... وأنت يا كلب اسبقني عالصالون. طأطأ سليم رأسه وغادر الممر متوجها إلى الصالون، أما الوالد فوجه حديثه إلى الوالدة خذوا البنت عندكم يا أم سليم، طيبوا خاطرها، ونادوا إمها توخذها. احتضنت والدتي بهية التي ألقت برأسها على كتفها، واختلط نحيبهما بنحيب أختي "(حامد ، 2013، 303) بعد أن تمكن فؤاد بمعاملته الإنسانية من انقاذها ، وحمل والده على الانتصار لها ، وإنكار المعاملة اللاإنسانية .

كما تجلت الإنسانية في كرم أم سليم وحبها لإدخال السرور والفرح على إبراهيم ابن ناطور البيارة وأخوته حين " التي نفحته ربع جنيه، وقالت له: خذ يا ابني، فرح خواتك. أم سليم هذه طيبة، لا أدري لماذا أرى فيها ملامح من والدتي، طريقة حديثها، ابتسامتها المستكينة والتي ألمح فيها شيئا من الحزن...، وهي لطيفة معنا، بعكس ابنها سليم الذي لا يكلف نفسه حتى عناء رد السلام "(حامد ، 2013 ، 86) ففي هذا النص يتجلى البعد الإنساني طيبة أم سليم وحنوها وعطفها وحبها مساعدة الآخرين إلى الحد الذي بدت فيه أما للجميع بلطفها ومعناها الكوني وليس البيولوجي حين أكرمته بربع جنيه بفعل المحبة، التي عادلت بينها وبين والدته ، وعوضته حاجته إلى الحنان والأمان " بابتسامتها المستكينة " التي كانت تعكس رضا هادئا ، وتحمل في طياتها حزنًا رقيقا ، ما جعلها أكثر إنسانية إذ تمثل الأمل رغم المعاناة. ولاسيما في قولها " خذ يا ابني فرح خواتك " فهي تحمل دفئا إنسانيا فالأفعال والعبارات المرتبطة بها تعكس الحنان والاحتواء وهي قيم إنسانية سامية.

كما تجلت الإنسانية في مساعدة أبو سليم لأبو الفوز البطل الأسطوري صاحب الجولات والبطولات الذي كان يتحدى " إمبراراطورية بأكملها بجنودها وضباطها ...يطاردونه منذ سنين ولايستطيعون القبض عليه " (حامد ، 2013 ، 204) وذلك حين لجأ مع بعض رفاقه إلى داره ذات ليلة بعد ملاحقة قوات الاحتلال الإنجليزية لهم ، ففتح الباب لهم وقال " خير يا شباب؟ شو فيه؟ - احنا مطاردين يا أبو سليم، محتاجين نختفي عندكم أكم يوم - طيب بسيطة رضا ، خذهم. اقتادهم رضا بصمت عبر الممرات إلى مخزن الغلال، حرك بعض أكياس الحنطة والبرغل من مكانها ، ورفع لوحا خشبيا فبانت تحته فتحة ضيقة سلط مصباحه اليدوي على الفوهة فبان سلم حديدي. - اتفضلوا ، عارفين الطريق، صح؟ - صح قال أبو الفوز ضاحكا ، وتقدم رفيقيه هابطا إلى حجرة واسعة تحت الارض" (حامد ، 2013، 193) ليجمع بهذا الموقف بين إنسانيته ووطنيته في مساندة المقاومين .

وفي رواية (القادم من القيامة) تجلت إنسانية الذات في خلافها مع جنود الاحتلال عند أحد الحواجز بعد رفضهم السماح لسيارة الإسعاف بعبور الحاجز مع أنها كانت تقل امرأة فلسطينية في حالة مخاض ، وانتهاء خلاف الذات مع الجنود باستشهادها ، وتقديم حياتها ثمنا لحياة وليد فلسطيني جديد عند أحد الحواجز ؛ ليكون شاهدا آخر على المعاملة اللإنسانية للآخر ليس مع الشيخ الذي استشهد فحسب ، وإنما مع المرأة الفلسطينية في حالة المخاض " تأتي من بعيد سيارة الاسعاف، تصفر وتصفر، يقترب من الجندي يشير لها بالوقوف...أمشي أقترب، ... أبدو وحيدا وحيدا، يقول لي أحد الركاب لا تقترب أكثر أحسن لا يطلقوا عليك النار، تتحسر امرأة يا حسرتي، مش أول واحدة بتولد على الحاجز في سيارة الاسعاف، أمشي أكثر، قلبي يدق، الناس كلهم خلفي، وهذه السيارات العسكرية تحيط بي، يقترب مني الجندي، ... يأتي جندي من الجهة المقابلة، أدفعه جانبا، أسمع قعقعة حديد السلاح. أقترب من سيارة الاسعاف، وسط السيارة على حمالة برتقالية تنام امرأة رأسها نحو داخل السيارة، ورجلها نحو الشارع والجنود، تفتح رجليها، يرتفع بطنها كقبة تصرخ العجوز الى جانبها، ... أسمع صراخ المرأة تصرخ صراخا يملأ المكان، ينكشف فخداها، يسيل الدم أكثر ، يقف الممرض والعجوز الى جانبها، تصعد العجوز تمسح جبهتها بالماء، معلش يا ابنتي هانت، يصرخ الممرض في وجه الجندي، لا أستطيع فعل شيء، المرأة تعاني من نزيف، نفث الجندي سيجارته، ممنوع ! أقترب أشتم رائحة الدم، أمتار قليلة تفصلني عن الجندي ينظر الي عينيه في عيني، أقترب يشير الي بالوقوف، يزداد صراخ المرأة ، يسيل الدم أكثر من بين فخديها، يعترض الجنديان ، طريقى اسحب نفسا عميقا أصبت بالعمى فى تلك اللحظة لم أعد أرى، أشم رائحة الجنديين؟ أصرخ وأدفعهما بحرقة: يا جبناء. أمشي، أحاول اغلاق الباب، تلتقي عيناي بعيني المرأة التي تلد، كانت نظرة اعتذار مني .. أغلق الباب، ... ينطلق الرصاص، شيء حار صلب يخترق ظهري ... أسقط على الأرض، ... أترنح ويسود الأفق أمامي، وحدها أذني كانت القادرة على سماع صوت هاتفي النقال للمرة الأخيرة،

دموع ساخنة مع الدم تغطي وجهي بينما أشم رائحة الاسفلت والماء المتسخ. "(الشرفا ، 2018 ،147-148) فهذا النص يعكس موقفا بطوليا وانسانيا في الوقت نفسه ؛ لأن تصرف الشيخ الذي حاول إبعاد الجنود عن الطريق لإنقاذ حياة سيدة على وشك الولادة يعكس أسمى معاني الكرامة الإنسانية ؛ فقد تجاوزه خوفه من الخطر، مدفوعًا بشعوره العميق بالمسؤولية تجاه حياة الآخرين، مما يجسد أن الكرامة لا تقتصر على الذات، بل تشمل أيضا احترام كرامة الآخرين وصونها. فالشخص الإنساني ليس كائنا سلبيا، بل هو فاعل أخلاقي يتحمل مسؤولية خياراته. فهو لم يكن مجبرًا على التدخل، لكنه اختار بحرية أن يخاطر بنفسه من أجل إنقاذ حياة امرأة وطفلها المنتظر وهذا يعبر عن جوهر الإنسان ككائن أخلاقي حر، كما لم يفكر الصديق في مصلحته الشخصية بل في مصير من هو أضعف ، وهذا كله يعكس الوعي بأن إنسانية الفرد لا تكتمل إلا بالاعتراف بإنسانية الآخرين.

كما تجلت الإنسانية في اهتمام صديق الشيخ بسلامته بعد معرفته خبر إصابته برصاص جنود الاحتلال " اسمعني أرجوك أنا ممرض في سيارة إسعاف كنت أنقل سيدة تريد الولادة، وصديقك الآن معي، إنه مصاب، وحالته صعبة. لقد حاول إبعاد الجنود من الطريق، لتمر السيارة، فأطلقوا عليه..." "(الشرفا ، 2018 ، 149) كيف وضعه؟ أرجوك دعني أكلمه... أسمع صوته... أين ستنقله ؟ إلى المستشفى. هل تعرفها ؟ أحاول التذكر...، أرجوك، افعل ما تستطيع سأنقله إلى فرنسا، المانيا، بريطانيا، أميركا، المهم افعل ما تستطيع....، سأذهب إليه إلى المستشفى، وسأقف عند رأسه"(الشرفا ، 2018 ، 150) فهذا النص يفصح عن مشاعر إنسانية عميقة أعرب عنها كل من الممرض وصديق الشيخ ، وهما يحاولان إنقاذ شخص عزيز في لحظة حرجة جدًا. وتأكيد هذا بتكرار السؤال والقلق الشديد والارتباك، مع الشعور بالعجز الشديد ؛ ولاسيما مع وجود صديقه في دولة ثانية " أرجوك افعل ما تستطيع " فهذا التكرار نابع من شعور عميق وصادق كما أنه ذكر مستشفيات ودول معينة مثل " المانيا وبريطانيا " بحثا عن طوق نجاة في مراكز الطب المتقدمة مهما كلف الأمر " أحاول التذكر" فهنا يظهر الاضطراب النفسي الذي وصل إلى حد الفقدان في التركيز والذاكرة، وهو يزيد من عمق الألم الإنساني ويكشف من شدة الصدمة التي جعلت النص مشحونا بدلات وجدانية عميقة ، في موقف بدت فيه الذات أمام اختبار حاسم لإنسانيتها .

وفي رواية (بدلة إنكليزية وبقرة يهودية) تجلت الإنسانية في قيام خليل والد شمس بإطعام العوائل الفلسطينية وأطفالها بعد أيام من الحصار والتجويع ؛ إذ ظل منهمكا " في تقطيع اللحم وتوزيعه على الجموع الجائعة التي احتشدت حولهم في انتظار الحصول على حصتها. أعطيني شقفة صغيرة، لقمة، ... ومع أن البقرة كانت أكبر بعشر مرات من عنزات شمس، إلا أنها بدت أصغر بكثير بسبب هذه البطون الجائعة كلها التي تنتظر حصتها. ببطون ممتلئة نامت شمس وبقية الأطفال بعمق تلك الليلة. لقد أسعدت تلك الوجبة قلوب الجميع. وبينما غط الأطفال في النوم، بقي الرجال والنساء ساهرين يتسامرون ويتمازحون، الأمر الذي لم يفعلوه منذ زمن »(العامري ، 2022 ،226) ففي هذا النص تجلت إنسانية الذات الفلسطينية ، وقدمت مثالا على نكران ذاتها ومؤازرتها لبقية الفلسطينيين ، ولاسيما في أيام المحن والشدائد والأزمات والظروف العصيبة ؛ لمواجهة أساليب المستعمِر في الإخضاع والتركيع ، والرد عليها بالإيثار والتضحية .

وفي رواية (ربيع حار) تمثلت إنسانية الذات في دعوتها لتقبل الآخر ، ومحاولة التعايش معه ، ومغادرة ثقافة العداوة والكراهية لاعتقادها أن " الإنسان مش دايما مسؤول عن أعماله. يعني المستوطن لما يعيش هذا الواقع..، واقع خربان، واقع معجون بالكراهية والرعب والخوف ممكن يصدق أن الاعتداء على الغير ممكن يحميه، لكن بعدين ممكن يصحى وممكن يندم. أنا متأكد أن الإنسان ممكن يندم. إذا صحيناه ممكن يندم. وكيف نصحيه ؟ بدعاة السلام. بالحب والسلام ممكن نخرج من هذا العنف. لكن بالقتل، بالعمليات، مش ممكن نخلص ونخلص". (خليفة ،106، 2004) ففي النص السردي تتحدث الذات الفلسطينية عن فكرة إنسانية عميقة تتعلق بالمسؤولية الأخلاقية للإنسان في ظل واقعه المشوب بالخوف والكراهية والرعب والصراع، فهي تحاول بقدر المستطاع أن تناقش إمكانية التغيير في الأساليب من خلال إشاعة القيم الإنسانية كالحب والسلام ؛ مادام الإنسان يملك حرية الندم والتغير والانفتاح، وأن هذا التوجه يقدم فهمًا إنسانيًّا لطبيعة الآخر، ويدعو الى الخلاص من العنف بواسطة أدواته السلمية التي تعيد للإنسان إنسانيته.

كما تجلت إنسانية الذات الفلسطينية في رواية (ربيع حار) حين تسامت الذات في تعاملها مع الجميع ولم تميز بينهم أو تعاملهم بحسب ولاءاتهم وانتماءاتهم الإيديولوجية فقد وزع القائد أبو رامي " سجائر وشواكل، ووزع عليهم عرق السوس وحبات العلكة والنعنع. أعطى لهذا وأعطى لذاك من كل الجبهات والفصائل: هذا فتحاوي وهذا حماس وشيوعي وجبهاوي وبلاوي،..، كان أبوهم. كان القائد. والقائد أب، أحسن من أب" (خليفة ،2004، 87) . في النص السردي وجود الذات الإنسانية وهي بوصفها أبا للجميع ، وليس قائدا لها ؛ فهو يكرس صورة القائد والسلطة كبديل عن الأب والإنسان فهو يعيد ترتيب علاقات العطاء والانتماء وفق الرحمة والرأفة الإنسانية.

وفي رواية (قناع بلون لسماء) تجلت أمثلة الإنسانية في الاهتمام والتواد المتبادل بين نور ووالدة مراد الحاجة الستينية أم عدلي فاطمة الموسي التي كانت تلفه " بأنفاس أمومتها الطاهرة أثناء مرافقتي لها في الحافلة" (خندقجي ، 2023 ،37) لتقابل ابنها المحكوم بالسجن المؤبد في سجون المستعمِر ، معوضة نور الشهدي عن حنان أمه التي فقدها قبل أن يراها بسبب وفاتها في أثناء ولادته ، إذ وجد فيها أمًّا بديلة تحنو عليه بلطفها ورعايتها ، وتستنهض فيه الصبر والصمود كلما قابلته ، وألقت عليه تحية تشع بالأمل والدفء والحنان " ها هي في آخر الزقاق تنتظره ، ها هي بهالتها النورانية تنظر إليه وهو يقترب منها في هذا الصباح النيساني المطعم بنهار رمضاني تباركه هذه المرأة الطاعنة بالصبر والصمود، يدنو منها، يكتم أنفاسه المتلاحقة، ثم ينحني ليُقَبِّل يدها بتحية صباحية، فتبادله هي بصوتها المتهدج تحيَّةً صباحية مزدانة بآمالها وصلواتها : صباح النور يا « أبو نورا». كم كان يكن ويستكين بسماع اسمه وكنيته حين تكسوه بها ! كم كان بحاجة إلى كل هذا الدفء المستمد منها ! هي الحاجة فاطمة الموسى «أم عدلي»، المرأة الستينية بوجه يقاوم الزمن والأزقة ببدر ممتلئ كسا وجهها ، لم لا؟ فهي تستعد الآن والشوق يعبق بداخلها، فبعد قليل ستمضي للزيارة، زيارة ولدها المحكوم بالسجن المؤبد مدى الحياة، المعتقل منذ عشر سنوات في غياهب المعتقلات الصهيونية، بتهمة تخطيط عمليات إطلاق نار ضد جنود الاحتلال وتنفيذها، ولدها الأصغر مراد صديق نور الأوحد في هذا العالم. يتأملها نور قبل أن يشرعا بعبور الشارع نحو مدخل البيرة حيث مقر الصليب الأحمر الدولي، وأمامه الحافلة المركونة التي ستقل أهالي الأسرى لزيارة أبنائهم في معتقلات الاحتلال الصهيوني، وهي عشر دقائق مدة المسير ومرافقة أم عدلي التي تأبطت ذراعه لحين بلوغ الحافلة عشر دقائق ليستعيد أمه من خلالها "(خندقجي ، 2023 ، 16-17) كما ظل نور يحنو عليها ويرعاها كلما حان موعد مقابلة ابنها مراد في سجن المستعمِر ، إذ ظل نور يرافقها في " الحافلة بيضاء ضخمة، كأنه يراها للمرة الأولى في حياته، يعين أم عدلي على الصعود إليها، ويُجلسها في مقعد إلى جانب النافذة، كما تحب دوما ؛ لترى أطلال اللد، وهي في طريقها إلى سجن «نفحة» الصحراوي الواقع جنوب صحراء النقب، ثم يقبل جبينها بقبلة أرفقها بسلامه الحار لمراد، ووعده لها بانتظارها حين تعود مساءً لكي يطمئن عليها ، ويأخذ حصته من أخبار صديقه ورسائله السرية "(خندقجي ، 2023 ، 26) بعد أن منح والدة مراد حصتها من رعايته واهتمامه ؛ ليخفف عليها وطأة غياب ابنها عن حياتها ، ويهون عليها الشعور بالفقد بعد أن رمى المستعمِر ولدها خلف القضبان ، إذ ظل نور يتفقدها " قبل المسير، يسألها عن صحتها وإذا ما كانت قد تسخرت جيدًا قبل الإمساك عن الطعام والشراب والشروع بالصيام، وهل كمامتها الطبية جديدة أم لا، بالإضافة إلى معقم الكفين الكحولي، في ظل هذه الجائحة الملعونة «فيروس كورونا»، فتجيبه بالإيجاب، وهي تستند على كتفه، "(خندقجي ، 2023 ، 18) وتتساءل بأسلوبها الذي ظل يفيض عطفا وحنانا ومحبة عن اليوم الذي سيخرج فيه مراد من السجن " متساءلة بصوتها الحنون سؤالها المعتاد الذي لم تيأس من ترديده يوما واحد؟ متى سأهنا بتحرر مراد حتى أزوجكما سويا في عرس فيجيبها مدعيا الأمل والتفاؤل : قريبا يا خالتي .. قريبا " (خندقجي ، 2023 ، 21-22) ليكون لها كما كانت إليه مثالا في الإنسانية التي تضمد جراح الإنسان وتهون عليه آلامه أيام المحن والشدائد ، وتعيد له الأمل في الحياة ، وتعده بالانتصار على الظلم والجور والطغيان مهما طال الزمن .

ثانيا ـ تمثلات الآخر :

يعد قلب الثنائيات الكولونيالية وتفكيكها من أبرز استراتيجيات السرد المضاد في أدب ما بعد الكولونيالية لفاعليتها في خلخلة نزعة التسيد والهيمنة ، وإعادة تمثيل الذات والآخر على نحو مضاد لما كانت عليه صورتهما في الخطاب الكولونيالي ، وذلك من خلال

التأثيرات الديالكتيكية للاشتباك الكولونيالي ، وكسر نسق ديناميكية التغيير من السير باتجاه واحد من المستعمِر إلى المستعمَر ، وجعل ديناميكية التغيير تدور ذهابا وإيابا من المستعمِر إلى المستعمَر بفعل الاشتباك التثاقفي ؛ فبدا المتعلّم جاهلًا، والجاهل متعلما ، والمتحضّر همجيًّا، والهمجي متحضرا ، والإنساني وحشيًّا ، والوحشي إنسانيا (أشكروفت ، بيل وآخرون ، 2010 ، 80) وقد تجلى هذا بوضوح في الرواية العربية الفلسطينية المعاصرة ما بعد الكولونيالية ؛ كون المقابلات الثنائية من أكثر الطرق شيوعًا لفهم العالم وان العقل البشري يميل لتقسيم الأشياء إلى ثنائيات أو اضداد لفهم الاختلافات ، وأن كل جزء منها تشكل نظامًا ثقافيًّا مستقرًا في ذهن الإنسان والمجتمعات (ينظر : أشكروفت ، بيل وآخرون ، 2010 ،79) فوجود أحد الطرفين يستدعي وجود الآخر" (ينظر : الديوب ، 2017 ، 158).

وتستند رؤية وحشية الآخر إلى تصوره كضد للذات، أو كيان مختلف يشكل تهديدًا لها ، ونتيجة لهذا التصور، ينظر إلى الآخر كعنصر يسعى لتهميش الذات، وإبعادها، بل وحتى الاعتداء على حقوقها ووجودها. (ينظر محمد ، 2016 ، 174) وفي هذه الحالة يصبح الآخر مصدرًا للمعاناة ، كما عبر سارتر بقوله: الجحيم هو الآخر وبناء على هذا التصادم / تتحول العلاقة بين الانا والآخر من حالة تعايش وسلام إلى حالة من التوتر والصراع. ويشر الفيلسوف هيجل إلى أن هذه العلاقة الصراعية قد تؤدي إلى ما يعرف بجدلية " السيد والعبد" حيث يهيمن أحد الطرفين على الآخر" (ينظر : حمداوي ،2011 ،3-4) ويلجأ إلى ممارسة الأفعال الوحشية كالقتل والتعذيب والقهر المادي والنفسي فكلها أساليب وحشية تحقق للآخر غايات شخصية .

وفي رواية (ليتني كنت أعمى) تمثلت وحشية الآخر بصورة لا مثيل لها في إقدامه على ارتكاب مجزرة مروعة في مخيم صبرا وشاتيلا سنة 1982 بعد أن دامت لثلاثة أيام وراح ضحيتها ثلاثة آلاف فلسطيني !! واختار علي المصور المقاتل أن يواجه المستعمِر بتصوير هذه الفظائع الوحشية بكامرته ، ليسقط بها كل الشعارات التي يرفعها عن الإنسانية قائلا " بعد مجزرة صبرا وشاتيلا ، بعد حالة الرعب والألم ...كيف يمكن أن تتعرف على أهلك المذبوحين بالصور ! كانت هذه إحدى الطرق للتعرف على الضحايا الذين توزعت جثثهم في الشوارع وقد خططتها الدماء؛ أم تمسك طفلها للنفس الأخير حتى لا يسقط عن ثديها وهو يرضع ، جثث منتفخة وأرجل مقطوعة ورقاب مذبوحة. تعيد الصور فتح الجراح وإحياء الألم، فالصورة محاولة تشبه اللسعة لاستعادة الحياة من الموت... كانت الصورة التي لم أتمن التقاطها، فستان أم الأمين الأزرق والأبيض يلتقط بصري، أبعد عيني وأتمنى الصدفة وقتها، مستلقية، تضع يديها على رأسها، الذي جاور رأس الأمين، تحت رأس الأمين يرقد محمود وقد ظهرت يده فقط تحت يد الأم يظهر رأس يافا، وقد تغطى بالدم، يد الأم تدلت خلف رؤوس الأطفال، كانت تحاول بيد حماية رأسها من الطعنة، وباليد الأخرى حماية الأطفال من الذبح عيون الأطفال مفتوحة نحو الأفق، والدماء توحدها بغطاء يصرخ بالعري. كان فستانها نصيبها من الحياة والموت، بعد أن كانت تملك بيارة في يافا، أصبح جلدها كفنها " (الشرفا ،2019 ،44-45) ففي هذا النص بدا الآخر في غاية الوحشية بعد أن وزع جرائمه على الفلسطينيين كلهم ، ولاسيما العزل من نسائهم وأطفالهم الرضع الذين حاولوا الدفاع عن أنفسهم البريئة بما ملكوا ، ولكن من دون جدوى أمام بربرية الآخر وهمجيته التي تكررت مرة أخرى حين ذبحوا عروس المصور المقاتل " ذبحت عروسًا عند الجدار المؤدي إلى مدخل شاتيلا. هكذا قالوا لي. كانت تحاول الهرب، لكنها كانت تقف عند كل جريح ونازف، حتى أتتها الطعنة من الخلف، ولم يمنحها القدر أو يمنحني أن أعرف أن لدي طفلًا أو أنها حملت. ماتت مخنوقة مع جنين يحوم في أحشائها في سباق بين التنفس والاختناق. صرخت من الطعنة صرخة هزت مخيم شاتيلا".(الشرفا ،2019 ، 24) . فهذا النص يصور فظاعة الاحتلال الصهيوني برصد قتل العروس بشكل مفجع، وهمجية. ويرسم مشهدًا مأساويًّا لمجزرة وقعت في مخيم صبرا وشاتيلا. وكانت الضحية عروسا شابة تسعى لإنقاذ الجرحى خلال الهجوم. وأن المأساة لم تكن في قتل العروس لوحدها ، وإنما لإجهاض الحياة بقتلها مع جنينها بعد أن تأكد أنها كانت حاملا ؛ فكانت صدمة زوجها بذلك قاسية جدا ؛ ل ، ليتأكد من وحشية الآخر وعدوانيته التي كانت تقتل بلا رحمة، وبلا تمييز بين مدني ، ومقاتل أو بين امرأة وطفل أو بين امرأة ورجل، بل تقتل بدم بارد وبأسلوب غادر" طعنًا من الخلف" والمفارقة أن الجريمة

وقعت حين كانت العروس تسعى للمساعدة وليس للقتال ، وأن صرختها لحظة طعنها كانت صدى لمقدار الألم العميق الذي مزق جسدها ، وصدى لاستغاثة جميع ضحايا المجزرة من وحشية الآخر .

وفي رواية (قناع بلون السماء) وظفت شخصية نور الشهدي الطاقات الشعورية للغة لتمثيل مأساة الشعب الفلسطيني في اقتلاعه من أرضه وتشريده من وطنه بعد أن استغل نور هوية أور شابيرا وتمكن من العمل مرشدًا سياحيًّا ، وحاول أن يقاوم وحشية المستعمِر بسرده المضاد ويفضح ترهاته ورواياته الزائفة " بخطاب حماسي مثير بصوت صارخ مجروح كلا سيداتي وسادتي.. كلا.. دعوني أستسمح طهر آذانكم، وبراءة قلوبكم، وإخلاص ضمائركم المؤمنة بالخلاص القادم لأقول لكم إن كل ما تفوهتُ به منذ قليل ما هو إلا ترهاتٍ وخزعبلات لا أساس لها من الصحة...، فهنا سيداتي وسادتي حيث تقفون الآن تقع أنقاض وأطلال القرية العربية الفلسطينية صرعة.. التي نُكبت وهُجّر أهلها البالغ عددهم أربعمائة نسمة في شهر تموز من عام 1948... بلى هُجّروا.. وها هم الآن يقبعون لاجئين ولاجئات في مخيمات اللجوء.. لقد دمرت العصابات الصهيونية القرية ؛ لتشيّد مكانها ((كيبوتس صرعة)). (خندقجي ، 2023، 66) " ففي هذا النص السردي تمثيل لوحشية الآخر الذي حاول طمس جرائمه وتحويل الأنظار عنها بإقامة موقع سياحي فوق أنقاض قرية صرعة بعد أن هجر سكانها ؛ لأن نور الشهدي خاطب جمهورا في رحلة رسمية ، ولجأ إلى أسلوب قوي فيه نوع من الصدمة بهدف جذب الانتباه. كما أنه استخدم كلمات ذات طابع وجداني يثير التعاطف ، و تعكس مشاعر الغضب الرفض. ؛ لأن الهدف من هذا الخطاب إسهام المتحدث بفضح ما يعتبره زيفًا أو تضليلًا تاريخيًّا من خلال تسليط الضوء على مأساة التهجير القسري للفلسطينيين، والعمل على بعث الحياة في الذاكرة ولفت الأنظار إلى وحشية الآخر التي تجلت في فظائع القتل والسلب والتهجير وطمس تاريخ وجود الشعب الفلسطيني في قرية صرعة من خلال تغيير اسمها إلى كيبوتس بدلا من مستوطنة ؛ كون التسمية الجديدة لا تشي بالخراب والدمار الذي رافق هذه الأعمال الوحشية .

كما تجلت وحشية الآخر في ممارسة عمليات الخطف والاعتقال بأساليب تعسفية كما جرى مع مراد الذي خُطف حين كان يمشي مع صديقه نور في أحد الشوارع "وقبل أن يجيب نور، وقعت الواقعة التي خططت لها قوة خاصة لجيش الاحتلال الصهيوني، وعملت على تنفيذها بإتقان؛ إذ تنكر بعض من أفرادها بملابس نسائية، فانتزعت القوة مراد بسرعة البرق من حواره مع نور وأزقة المخيم وبيته وطفولته وشبابة وذكرياته ومائدة أمه المزدانة بأكلة ورق العنب"(خندقجي ، 21،2023) وانقلبت أحواله بسرعة خاطفة بفعل الخداع والتنكر ، ولجوء المستعمِر إلى ممارسات تتنافى مع مزاعم تحضره وتمدنه ورقي تعامله .

وفي رواية (ربيع حار) يتكرر تمثيل وحشية الآخر من خلال رصد أفعاله الفظيعة في القتل والتشريد والتدمير وبث الرعب والترويع وإلحاق الأذى بكل ما هو فلسطيني سواء كان إنسانا أم أم حيوانا أم نباتا ، وبشهادة الصحفي أحمد الذي حرص على المشاركة في السرد المضاد باختياره العمل صحافيا لمواجهة المستعمِر بتوثيق جرائمه وتسجيلها في مفكرته " فقدنا كل شيء. البلد خرابة. والناس طردوهم من بيوتهم والفلاحين خلعوا شجرهم ودمروا البيوت ونسفوا مساجد وجرحوا المئات واعتقلوا ألوف" (خليفة ، 2004 ، 89) فالمستعمِر لم يستثن تخريب وتعطيل أي حلقة من حلقات الحياة ، وإنما عمل على استهدافها كلها ، ليثبت بهذه الجرائم الوحشية أن فلسطين " أرض بلا شعب لشعب بلا أرض " حتى بلغ الأمر به إلى استهداف سيارات الإسعاف البيضاء لقتل الجرحى والمصابين الذين لم يتمكن من قتلهم في المرة الأولى ، بعد أن قطع الطرق واقتلع الأشجار وخرب الحدائق ودمر مراكز الشرطة ، وحطم أعمدة الكهرباء وتركوا الناس بلا مأوى يجلدهم البرد والمطر " يا أم سعاد شو أحكيلك؟ وأنا في الطريق راكب في سيارة إسعاف ومش قادر أسعف بني آدم. شوارع فاضية ومحروثة ضاع أثرها، صارت ولا شيء، صارت تراب صارت ساحات وملاعب للدبابات ودوار البلد اللي كله زهور صار مهشم خلعوا البركة، كسروا النخيل، مشوا على النجيل بالدبابات وهرسوا الددونيا وحرقوها ما ظل رصيف ما ظل دوار، ما ظل أضواء وكهارب. حتى الإشارات الضوئية رشوها رصاص. ومقر الشرطة المسكينة ومكتب البريد والبلدية، يا أم سعاد شو أحكيلك؟! قالت: إحك، إحك، إحك وفضفض لي وفش قلبك. قال: الإسعاف، حتى الإسعاف ما خلص منهم. 20 سيارة أو أكثر كلها بيضا وكلها إسعاف بهلال أحمر وصليب أحمر سحلوها سحل ومشوا فوقها بالدبابات زي الصاصير وأنا منها نجيت بأعجوبة يا أم

سـعاد شـو أحكيلك؟! قالت: إحك، إحك، إحك وفضـفض لي وفش قلبك. قال : وجنين كمان لعنوا دينها حرقوها حرق حرثوها حراث طردوا الأهالي من بيوتهم وناس هدموا بيوتهم فوق روسـهم ومشـوا فوقهم بالدبابات والناس اللي خرجوا من بيوتهم تحت الشـتا وبالهوا والبرد حتى الطبيعة ما رحمتهم "(خليفة ، 2004 ، 89) بعد أن حرمهم المسـتعمِر من أبسـط حقوقهم في الحياة ، وعاملهم معاملة وحشية لا تمت إلى الإنسانية بأدنى صلة ، وأثبتت زيف مزاعمه وشعاراته التي ظل يتبجح بها ، ويضلل الاخرين بأكاذيبها وزورها .

وفي رواية (بدلة إنكليزية وبقرة يهودية) تمثلت وحشية الآخر في ممارسات عدة كشفت في مجملها عن فظاعة أفعاله وهمجيتها ؛ لأنها لم تقتصر على ترويع السكان الأصليين وتشريدهم فقط ، وإنما تخطت هذا لتشمل نهب بنوكهم ومدارسهم ومستشفياتهم ومحالهم التجارية وأجهزتهم وحيواناتهم وكتبهم وأثاث بيوتهم وسياراتهم وكل ما له علاقة بإدامة حياتهم واستمرارها بهدف اقتلاعهم من أرضهم ، والهيمنة عليها بشـهادة شـخصـية صـبحي الذي " كان كل ما يسمعه هو صـوت اقتحام البيوت التي تركها أصـحابها في حالة هلع الآن انضـم المهاجرون اليهود الجدد جماعات جماعات إلى حملات النهب المنظمة التي قادتها الميليشـيات اليهودية. اقتحمت البيوت، وكل قطعة من الأثاث حملت بعيدًا على الأكتاف أو حملت في شاحنات غرف معيشة بأكملها، غرف نوم، غرف طعام خزائن مطبخ، ثلاجات أفران، سجاد فارسي ثريات، أسرة أطفال أجهزة راديو، آلات بيانو كتب طاولات ومقاعد من المهاجوني، خزائن ملابس فاخرة لم يسلم أي مكان المستشفيات المدارس البنوك المحال التجارية المكاتب العيادات أسواق بأكملها المصـانع قوارب الصيادين معدات الصيد كان أكثر ما أحزن صبحي، إضـافة إلى سرقة الكتب والحيوانات الأليفة المذعورة، نهب السيارات الجديدة، خصـوصًـا سيارات المرسيدس التي كان كثيرًا ما يتوقف أمامها بإعجاب في معرض غرغور وهو في طريقه إلى الكراج. كان صـمت مدينة الأشـباح هو الذي أبقى عيني صبحي مفتوحتين محرومتين من النوم طوال الليل. كل شيء ضـاع هذا كل ما كان يفكر فيه ليلًا ونهارًا: ضـاع أفراد عائلته وبيته ضـاع حيه وجيرانه، ضـاع أقاربه ضـاع المعلم مصـطفى وكراجه، ضـاعت المحركات التي أصـلحها، وتلك التي كانت تنتظر" (العامري، 2022 ،166) . حملات ليجد صـبحي نفسـه بعد هذا كله أمام مشـاهد موجعة من أنين المسـنين وصـراخ الأمهات الثكالى الأطفال التائهين و " صور الخروج المزلزل لأهل مدينة بأكملها : يتركون بيوتهم ينامون على الشاطئ لأيام بلا عدد منتظرين قاربًا أو سفينة تأخذهم إلى المجهول. شـعر برأسـه يكاد ينفجر، بينما يمر في ذهنه شـريط من الصـور الكابوسـية، كان أسـوأها أنين كبار السـن، وصرخات أمهات يبحثن عن أطفالهن المفقودين، وصراخ أطفال مذعورين يبحثون عن أمهاتهم "(العامري ، 2022 ، 165) ولاسيما بعد لجوء المستعمِر إلى إطلاق النار على الفلسطينيين العزل الجالسين في أحد المقاهي " كانت أصوات إطلاق النار والانفجارات تسمع طوال الليل...،حتى جاء اليوم الذي تعرضـت فيه ثلاثة مقاهٍ مكتظة لهجمات في ضـوء النهار،...، عندما اضـرم أربعة يهود يمنيين النار في مقهى سـامبو، وقد شـوهد أحدهم يهرب وفي يده راديو المقهى"(العامري، 2022 ، 140) . مما يعكس حالة من الرعب وعدم الاستقرار، وكذلك وقوع هجمات في وضح النهار، وهو ما يعني أن العنف قد انتقل من الخفاء إلى العلن، فالنص يصور وحشية الآخر اليهودي اليمني كقوة عنف تسـتهدف المدنيين بلا تمييز، حيث قاموا بإحراق الأماكن العامة التي يجتمع فيها الأبرياء ، لأن الحرق المتعمد للمقهى يعكس رغبة في تدمير الروح اليومية للناس. والأماكن التي تمثل الراحة والتلاقي. وأن وحشية الآخر تجلت في التنكر للقيم الإنسـانية التي تجاوزت جرائم القتل والتدمير، إلى بث الفوضـى، والرعب والخوف وانعدام الأمان ، و تدمير مظاهر الحياة الطبيعية للناس وسرقة ممتلكاتهم وهو ما يشير إلى رغبة في محو وجود الآخر (العربي /الفلسطيني) نفسيًّا وماديًّا وهو ما تأكد لصبحي في نهاية المطاف وهو يعدد خساراته بسبب وحشية الآخر وبربريته " ضـاعت وظيفته وسمعته كأفضل ميكانيكي في المدينة، ضـاع زبائنه جميعهم، الأغنياء ومتوسـطو الحال والفقراء، الذين كانوا يدفعون أجورًا مختلفة ضـاع النادي الإسـلامي، إذ كان يلعب كرة القدم مع أصـدقائه، ضـاع أبناء حيه الذين كان يسـبح معهم. ضـاع أصـدقاء لعب الشـدة الذين كان يذهب معهم إلى صـلاة الجمعة في الجامع الكبير، وإلى المسيرات في ساحة برج الساعة ضاعت المكتبة التي كان يستعير منها الكتب، ...ضاع السياسيون والمثقفون رواد مقهى الانشـراح ضـاع تجار البرتقال الأغنياء، ولكن المأسـاة الكبرى كانت أن شـمسـه ضـاعت. ...وقد تبدد أمله في الزواج من شـمس؟ " (العامري، 2022 ،140) وبات وجوده مهددا أمام هذا التشتت والتشظي بفعل وحشية الآخر ، وممارساته الفظيعة .

وفي رواية (اعراس آمنة) تجلت وحشـية الآخر في اسـتخدام الأسـلحة الثقيلة من قنابل وصـواريخ ومعدات مدمرة من طائرات ودبابات ضـد الفلسـطينيين العزل "زمنٌ طويل من القصـف: قنابل وصـواريخ، دبابات وطائرات مروحية، وحتى مقاتلة، كان يكفي لزعزعة عيارات السـمع لدي، مع أن كثيرين صـارا يتباهون- كما في كل حرب- بدقتهم في تحديد أنواع الأسـلحة، لكنني لم أكن منهم...،فمن يسـتطيع أن يفرق بين طرقات قوية على باب، وبين أصـوات القنابل في إغفاء عثر عليها بأعجوبة في نهايات الليل." (نصر الله ، 2012،6) النص يعمق تصوير وحشية الآخر وذلك عن طريق تسليط الضوء على الحروب الموجهة ضد النفس والجسد والذاكرة. بسبب عنف الآخر وتنكره للإنسانية " زمن طويل من القصف" هذا تعداد مكثف لوسائل الحرب وهو ما يخلق صورة شاملة لوحشية الآخر، الذي لم يكتف باستخدام أداة واحدة للقتل، وإنما لجأ إلى معدات كاملة تشمل الطائرات المقاتلة، مما يدل على استهداف شـامل للناس الأبرياء، كما إن تصـعيد اسـتخدام الأسـلحة يوحي بتعمد الإفراط في العنف، ويعد الأثر النفسـي والجسـدي للعنف لزراعة عيارات السمع" وهذه عبارة تشير إلى الأضرار الجسدية الدائمة التي خلفتها الحرب مما يوضح أن وحشية الآخر ليست مجرد لحظة عابرة، بل تترك آثارًا يصعب شفاؤها. كما أن تداخل الأصوات مثل " القنابل والطرقات على الباب" وهو ما يعبر عن تفكيك الإحساس بالأمان حيث يتحول كل صـوت إلى تهديد. كما " كثيرون صـاروا يتباهون " فهذا الجزء يعكس كيف أصـبح العنف أمرًا اعتياديًّا، ومصـدر فخر أو تباه في ظل الاحتلال. " أنهم يقتلون كل شـيء " (نصـر الله ، 2012 ، 86) فقد قتلوا أبو عنتر بقذيفة دبابة !! حين كان يتنقل بين بسـطات الخضـار في المخيم ؛ ليجمع ما تبقى من فضـلات الفواكه التالفة ، ولم يتعرفوا عليه إلا من ثيابه لأن " القذيفة جاءته مباشرة ، قذيفة دبابة وأطارت وجهه، لم يعرفه أحد ، ثم عرفوه من ثيابه" (نصر الله ، 2012،48) وظل الآخر يوغل بوحشيته في إنهاء دورة حياة كل فلسـطيني ، ولاسـيما الشـباب قبل زفافهم ؛ ليقلب أعراسـهم إلى مآتم مفجعة ، لم تترك لرندة الصـحافية سـوى التسـاؤل " يحيرني هذا الموت الذي ينقض ممزقا دورة الحياة قبل أن تنتهي ما الذي كان يمكن أن يكونه أي واحد منهم لو أتيح له أن يعيش "(نصـر الله ، 2012،118) كما جرى لمحمد الذي قتلوه قبل زفافه بسـاعتين ، وتركوا أمه تشـكو ألم فاجعته لآمنة التي شـعرت بالخوف من تكرار هذا مع ابنها بعد أن فجعت من قبل بمقتل زوجها " قالت لي لقد استشهد قبل ساعتين. قبل ساعتين من عرسه تصور ! ألم يكن بإمكانهم الانتظار قليلا، يوما واحدا، يومين ؟ ما الذي كان سـيحدث إذا كان عدد الناس الذين قتلوهم أقل، أقل بواحد فقط، لا غير، هل بذلك سيختفي هذا الجحيم الذي زرعوه فوق رؤوسنا ويسقونه بالرصاص والقنابل ويحرسونه بالطائرات منذ خمسين عاما وأكثر ؟ "(نصـر الله ، 2012، 44) وبات الجميع هدفا لوحشـية الآخر الذي لم يتردد في اسـتخدام أكثر الأسـلحة فتكا وتدميرا ، حتى ترك الشباب الفلسطيني منشغلا بحفر المزيد من القبور وتجهيزها قبل استشهاد أصحابها ، ولاسيما من الأطفال الذين كانوا يتساقطون واحدا بعد الآخر إذ" لم يعد هناك أي مكان آمن. قبل قليل مر علي "عزيز"، "عزيز" ما غيره! صبح، وسألني هل أنت محتاجة لشيء يا خالتي. قلت له: الله يرضى عليك ويخليك لأمك. لا يا حبيبي. فقال: على أي حال لن أكون بعيدًا. قلت له: ستحفرون قبورًا جديدة؟ هز رأسه بعد قليل يأتي الشباب...تعرفين يا خالتي آمنة: إنهم يفاجئوننا، ويقتلون شبابنا كل يوم، ويجب ألا نفاجأ. يجب أن تكون هناك قبور جاهزة. أعرف أننا في الفترة الأخيرة حفرنا قبورًا أكثر، ولكنهم قبل أيام فاجأونا بصـاروخ قتل ثلاثة، وحين تجمع الناس لإنقاذ من في السيارة والشارع أغارت طائراتهم وقتلت سبعة وأصابت خمسين. قالوا لي إن أحد المصابين فقد ساقه، وبعد بحث طويل عثروا على السـاق، لكنه ما إن رآها حتى راح يصـرخ: ألم تلاحظوا ؟ كم سـاقا يُمنى يمكن أن يكون لدي ؟!! مجزرة يا خالتي. هناك شـباب بقينا يومين تلملم لحمهم عن الحيطان وسطوح البيوت، وحين جمعناهم في أكياس كنا نعرف أن أحدًا لا يستطيع معرفة لحم هذا من لحم ذاك؟ "(نصـر الله ، 2012،56) لأن وحشـية الآخر لم تسـتثن حتى المقبرة من الاسـتهداف ، وقصـفتها بسـتة صـواريخ(نصـر الله ، 2012،55) وتركت للقناصين استكمال فصول وحشيته حين أصاب رأس إحدى التوأمين (رندة ولميس) برصاصة قاتلة ، وتركها ذبيحة تسـبح بدمها ، متربصـا بكل من يحاول الاقتراب منها ليلقى حتفه فوق حتفها " تش واحدة منا خرجت إلى السـطح ذلك اليوم، ورآها القناص، فأطلق رصاصة واحدة. رصاصة واحدة تكفي أحيانا وتزيد. وكلما راح أحد يحاول الوصول إليها فوق السطح، رأينا حواف الإسمنت تتطاير، فأدركنا أن هناك رصاصا، يأتي من بعيد، نراه ولكننا لا نسمع صوته، بعد ساعتين استطعنا قطع المسافة التي

تفصلنا عنها؛ بعد ساعتين قطعنا الأمتار الأربعة وجدنا جسدها ملقى وسط بحيرة دم صغيرة، وكان اسمها إلى جانبها ملقى هناك مثل عصفور صغير؛ حملت الاسم، ونزلت به في الوقت الذي كانوا يُنزلون الجسد المثقوب، الجسد الذي فتحت فيه الرصاصة نافذة عمياء. تلفت، فوجدت أن آخر شيء يفكرون فيه هو الاسم، خبأته، وكانوا يصرخون ويبكون، وظلوا كذلك إلى أن رآني أحد جيراننا أبكي، وكأنني أبكي علي، حدق في الجثة المسجاة وفي أقل من لحظة اندفع السؤال المخيف الذي أحال العالم كله إلى قطعة يابسة من صمت. - من التي استشهدت؟ لميس أم رندة؟ التفتت إلى أمي عبر دموعها، وسألتني: مين يا بنتي ؟! فبقيت صامتة." (نصر الله ، 135،2012) في مشهد فظيع يصور الكم الهائل من الوحشية التي كان الآخر يعامل بها الفلسطينيين ، من دون أن يميز بين رجل وامرأة ، وبين عسكري ومدني ، وبين أعزل ومسلح .

وفي رواية " حكاية جدار " بدا الآخر في غاية الوحشية من خلال لجوئه إلى شتى أساليب التعذيب الجسدي والروحي للسجناء الفلسطينيين ؛ فقد " شَيَّدَت دولة الاحتلال مُعْتَقَلات عديدة راحت تمتلئ بعد العام 1967 بأرواح فتية لم يكن وعيها الجمعي قد اكتمل بعد، في حين اكتمل فيها الوجع والشعور بالخسران فقاتلت وَقُتِلَت أو زُجَ بِها في غياهب السجون إن هي نجت من قَتْلِها ، وتَكَدَّسَتِ الأجساد في محطات ضَيِّقة ومعادية، وغُرَفٍ زنزانية صممت من أجل كَسْرِ الروح وفناء الجسد. عانى المُعْتَقَلون الفلسطينيون داخل تلك المُعْتَقَلات وَيْلاتِ القَهْر والتعذيب والنفي عن الزمان والمكان بعد أن جَرَّمَت أفعالهم أجهزة قضاء ومحاكم عسكرية كفرت بكل المواثيق والمعاهدات الدولية، وتعالت على القانون الدولي، وتبنت لنفسها منظومة شرائع وقوانين خاصة غابت عنها العدالة، وظلت الإدانة حُكْمَها الأول والأخير."، (أبو سرور ، 2022، 67) فالمستعمِر لم يترك أسلوب تعذيب إلا وجربه مع السجناء الفلسطينيين من أجل كسر معنوياتهم، وحملهم على الرضوخ والخضوع ، بدءا من حشرهم الآلاف منهم في معتقلات لاتسعهم ، وزجهم في زنزانات مخصصة للنيل من صمودهم وثباتهم ، ومرورا بالتعسف والظلم والجور في محاكمتهم ، ووصولا إلى انتهاك حقوقهم وإصدار أحكام جائرة بحقهم تتعارض مع أبسط مبادئ العدالة والقوانين والأعراف الدولية النافذة ، وحرمانهم من أبسط حقوقهم ، بما في ذلك نقلهم من سجن إلى آخر حديدية سميت بالبوسطة وهي " شر لا بد منه لكل أسير فلسطيني يدخل السجون الإسرائيلية، فهي وسيلة نقل وعذاب وعقاب في آن واحد، يمارس خلالها السجانون الإسرائيليون أقسى أنواع الإهانة والإذلال للأسرى. والبوسطة عبارة عن حافلة عدلت لتصبح أكثر إيذاء وقساوة، فهي مقسمة إلى ثلاثة أقسام، اثنان منها على شكل زنازين لها أبواب داخلية مصفحة والثالث وهو النصف الأمامي من الحافلة محكم الإغلاق (ينظر : الانترنت) وفضلا عن هذا هي " مركبة فاحت منها رائحة الحديد والبارود، وامتلأت بأصوات كلاب لا تزال شهيتها مفتوحة. عاد الصوتُ من جديد، وأسئلة متكررة عن تفاصيل أمسي متى استيقظت وإلى جانب من؟ هل تناولت إفطارك، وهل شَبِعْتَ ومن أَعَدَّه لَك ؟ متى غادرت منزلك وإلى أين؟ ماذا وضعت عليك من ثياب؟ ما ألوانها؟ ولماذا بالغْتَ في تَهَنْدُمِكَ؟ وأسئلةٌ مُشابهة رُحْتُ هذه المرة أجيب عليها بعد أن أفاقني ما رافقها من ضربات طالت جسدي كله، ...تَوَقَّفَت المركبة فجأة ثم تابعت سَيْرَها لِأَقَلَّ من نِصْفِ دقيقة، ثم توقفت ثانيةً وَضَجَّ داخِلُها، وَشَعَرْتُ بحركة كُلَّ شواغلها وهي تَرْتَطِمُ بي بمن فيها الكِلاب في طريق خروجها من المركبة، تبع ذلك هدوء لأكثر من دقيقة، وإذا بِأَيْدٍ تَمْتَدُّ إلى يَدَيَّ وقَدَمَيَّ المُقَيَّدَتَيْن، وأَحْمَلُ بِخُشونةٍ وأَجَرُّ مَسافَةَ بِضْعَةِ أَمْتَارٍ، ثم يُلقى بي في مَكَانٍ ما وَيُغْلَقُ عَلَيَّ بابه "، (أبو سرور ،2022 ، 49) لكي لا تمر على السجين لحظة من دون استغلالها في تعذيبه جسديا وروحيا ، وفق استراتيجية ثابتة تسعى لتركيعه وإخضاعه وإذلاله وانتهاك حقوقه بشتى الأساليب القمعية والوحشية التي لا تقيم للقانون والعدالة ومواثيق حقوق الإنسان أي اعتبار ، وتؤكد زيف مزاعمه وسقوط شعاراته التي ظلت تتبجح بإنسانيته ورقي تعامله .

النتائج :

1- لقد عملت الرواية الفلسطينية المعاصرة على تفكيك الصورة النمطية السلبية التي أشاعها المستعمِر عن الذات الفلسطينية ، من خلال إعادة تمثيلها على نحو مضاد ؛ بدفع شخصياتها الرئيسة إلى إحراز مستويات متقدمة من العلم ، والثقافة ، والرقي في التعامل الإنساني ، مع التعمق في دراسة التاريخ ، والتخصص في الآثار ؛ والقانون ، والصحافة ، والطب

النفسي ، والكتابة الأدبية ؛ لعلاقاتها المباشرة في الرد على مرجعيات السردية الكولونيالية التي كانت سندا لاحتلال فلسطين ، فضلا عن وعيها بفاعليتها في السرد المضاد ومقاومة خطاب المستعمِر ، وتفكيك مزاعمه من خلال توظيف الميتا سرد ، ووصف إجراءات كتابته داخل تلك الروايات ، والاستعانة بمصادره مثل كتاب الثقافة الإمبريالية لإدوارد سعيد ، والإمبراطورية ترد بالكتابة لبيل اشكروفت وآخرون ، كما هو الحال في رواية قناع بلون السماء لباسم خندقجي .

2- أعادت الرواية الفلسطينية المعاصرة تمثيل الآخر طبقا لمنظور سردها المضاد ليبدو على الضد مما كان عليه في سردياته ، فبدا متوحشا همجيا لم يتردد عن ارتكاب شتى الجرائم الفظيعة من نهب ، وقتل ، وترويع ، وتخريب ، وتزييف ، وتهجير ، وتعذيب ، وانتهاك صارخ لثوابت القيم الإنسانية ، وجميع الأعراف والقوانين ، والمواثيق الدولية ؛ ليتأكدَ للجميع من خلال هذه الانتهاكات الفظيعة سقوط كل الشعارات التي كان يرفعها عن تمدنه ، وتحضره ، وإنسانيته، وزيف مزاعمه في ذلك ، وبطلانها .

المصادر والمراجع :

1. أبو سرور، ناصر ،حكاية جدار، دار الآداب-بيروت، ط1 ، 2022.
2. أبو شهاب ، رامي ، ما بعد الكولونيالية : المنظور النقدي والمقاربة المنهجية ، مجلة أبوليوس ، مج 6، ع 2 ، 2019 .
3. أشكروفت ، بيل ، واخرون ، دراسات ما بعد الكولونيالية المفاهيم الرئيسية، تر أحمد الروبي، وآخرون، المركز القومي للتر القاهرة ، مصر، ط1، 2010.
4. باركر ، كريس ،معجم الدراسات الثقافية ، تر جمال بلقاسم ، رؤيا للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط 1 ، 2018 .
5. البازعي ، سعد، دليل الناقد الأدبي ، د. ميجان الرويلي ،المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء –المغرب ، ط3 ،2002 .
6. البوسطة وجه قاس لمعاناة الأسرى الفلسطينيين بسجون الاحتلال ، الانترنت https://www.aljazeera.net/news
7. جواد ، حوراء ، أ.م.د محمد رضا عبد الستار الأوسي ، تمثلات العنف الديني في الرواية العربية (روايات البوكر القائمة القصيرة 2018 أنموذجا) مجلة لارك ، مجلد 1، العدد 40، 2021 DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss40.1709
8. حامد ، أنور، يافا تعد قهوة الصباح ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ، لبنان، (د. ط)2013.
9. حمداوي ، جميل ، صور جدلية الأنا والآخر في الخطاب الروائي العربي ، مقال، العدد 3-4، أكتوبر : 2011 .
10. خليفة ،سحر، ربيع حار، دار الآداب ، بيروت ، لبنان ، (د. ط)، 2004.
11. خندقجي ، باسم ، قناع بلون السماء، دار الآداب للنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، ط7، 2023.
12. الديوب ،سمر، الثنائيات الضدية بحث في المصطلح والدلالة، المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية العتبة العباسية المقدسة، ط 1 ،2017 .
13. رواية أم سعد ، الانترنت ،wikipedia.orgv.
14. سبيلا ، محمد ، الهرموزي ، نوح ، موسوعة المفاهيم الأساسية في العلوم الإنسانية والفلسفة، المركز العلمي العربي للأبحاث والدراسات الإنسانية، ط1: 2017 .
15. الشرفا ، وليد ،القادم من القيامة، الاهلية للنشر والتوزيع، الأردن، ط 2 ،2018 .
16. الشرفا، وليد، ليتني كنت أعمى ، الاهلية للنشر والتوزيع، الأردن ط1، 2019.
17. العامري ، سعاد، بدلة إنكليزية وبقرة يهودية ، تر هلا شروف ،منشورات المتوسط ، إيطاليا ، ط1 ، 2022.
18. فتحي ، إبراهيم ، معجم المصطلحات الأدبية ، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر ، الجمهورية التونسية ، ط1 ،1986 .
19. لالاند ،أندريه ، موسوعة لا لاند الفلسفية، تر خليل أحمد خليل ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط2 ، 2001 .
20. محمد ، د.محمد رضا عبد الستار ، م.م.ميعاد طالب علي –الأدب في مواجهة العنف – قراءة تداولية في رواية فرانكشتاين في بغداد ، مجلة لارك، العدد 21، 2016 ، DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss21.633

21. الندوي ، معراج ، احمد ، مجلة الجزيرة ، صحيفة سعودية يومية تصدر عن مؤسسة الجزيرة للصحافة والطباعة والنشر ومقرها العاصمة رياض ، الثلاثاء 13 يونيو 2023 .

22. نصر الله، إبراهيم ، أعراس آمنه ، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت ، ط 4 ، 2012 .

Sources and References:

1. Abu Sarour, Nasser, *The Story of a Wall*, Dar Al-Adab, Beirut, 1st ed., 2022.

2. Abu Shahab, Rami, *Postcolonialism: The Critical Perspective and Methodological Approach*, Apuleius Journal, Vol. 6, No. 2, 2019.

3. Ashcroft, Bell, et al., *Postcolonial Studies: Key Concepts*, trans. Ahmed Al-Roubi, et al., National Center for Literature, Cairo, Egypt, 1st ed., 2010.

4. Parker, Chris, *Dictionary of Cultural Studies*, trans. Jamal Belkacem, Roya Publishing and Distribution, Cairo, 1st ed., 2018.

5. Al-Bazai, Saad, *A Guide for the Literary Critic*, trans. Dr. Meegan Al-Ruwaili, Arab Cultural Center, Casablanca, Morocco, 3rd ed., 2002. 6. The Post Office: A Harsh Reflection of the Suffering of Palestinian Prisoners in Israeli Jails, online: https://www.aljazeera.net/news

7. Jawad, Hawraa, and Dr. Muhammad Reda Abdul Sattar Al-Awsi, "Representations of Religious Violence in the Arabic Novel (The 2018 Booker Prize Shortlist Novels as a Model)," Lark Journal, Volume 1, Issue 40, 2021. DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss40.1709

8. Hamed, Anwar, "Jaffa Prepares Morning Coffee," Arab Institute for Studies and Publishing, Beirut, Lebanon, (n.d.) 2013.

9. Hamdawi, Jamil, "Dialectical Images of Self and Other in the Arabic Novelistic Discourse," article, Issue 3-4, October 2011.

10. Khalifa, Sahar, Hot Spring, Dar Al-Adab, Beirut, Lebanon, (n.d.), 2004.

11. Khundakji, Basim, A Mask the Color of the Sky, Dar Al-Adab for Publishing and Distribution, Beirut, Lebanon, 7th ed., 2023.

12. Al-Dayoub, Samar, Opposite Dualities: A Study in Terminology and Semantics, Islamic Center for Strategic Studies, Al-Ataba Al-Abbasia Al-Muqaddasa, 1st ed., 2017.

13. Umm Saad Novel, Internet, wikipedia.org

14. Sabila, Muhammad, and Al-Harmouzi, Noah, Encyclopedia of Basic Concepts in the Humanities and Philosophy, Arab Scientific Center for Research and Humanistic Studies, 1st ed., 2017.

15. Al-Shurafa, Walid, The One Who Came from the Resurrection, Al-Ahliya for Publishing and Distribution, Jordan, 2nd ed., 2018. 16. Al-Shurafa, Walid, *If Only I Were Blind*, Al-Ahliya for Publishing and Distribution, Jordan, 1st ed., 2019.

17. Al-Amiri, Suad, *An English Suit and a Jewish Cow*, trans. Hala Shrouf, Al-Mutawassit Publications, Italy, 1st ed., 2022.

18. Fathi, Ibrahim, *Dictionary of Literary Terms*, Al-Ta'adudiyah Al-'Ummaliyah for Printing and Publishing, Tunisia, 1st ed., 1986.

19. Lalande, André, *Lalande's Philosophical Encyclopedia*, trans. Khalil Ahmad Khalil, Oweidat Publications, Beirut, 2nd ed., 2001. 20. Muhammad, Dr. Muhammad Reda Abdul Sattar, M.M. Miad Talib Ali – Literature in the Face of Violence: A Pragmatic Reading of Frankenstein in Baghdad, Lark Magazine, Issue 21, 2016, DOI: https://doi.org/10.31185/lark.Vol1.Iss21.633

21. Al-Nadawi, Miraj, Ahmed, Al-Jazirah Magazine, a Saudi daily newspaper published by Al-Jazirah Foundation for Press, Printing and Publishing, based in Riyadh, Tuesday, June 13, 2023.

22. Nasrallah, Ibrahim, A’ras Amina, Arab Scientific Publishers, Beirut, 4th edition, 2012.